

الإمام شرف الدين

بَاحِثًا وَمُجَاهِدًا وَدَاعِيَةً لِلإِصْلَاحِ وَالْوِفَاقِ

تأليف

آية الله جعفر السبحاني



دار جواد الأئمة

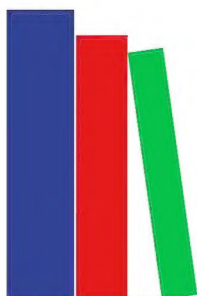
الإمام شرف الدين

باحثاً ومجاهداً وداعية للإصلاح والوفاق

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م



مكتبة
مؤمن قریش

أول وضع إيمان آل مؤمن في مكة مبرور و إيمان هذا الحق
في مكة الأخرى لرجوع إيمان
إيمان المؤمن

moamenquraysh.blogspot.com

دار جواد الأئمة ٥

بيروت - لبنان

ت - ١٣٧٣٧٣ / ٣

الإمام شرف الدين

باحثاً ومجاهداً وداعية

للإصلاح والوفاق

تأليف

آية الله جعفر السبحاني

دار جواد الأئمة^(ع)

بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تعتزُّ الأمم - جميع الأمم - بالعظماء من علمائها ومفكرها وقادتها، الذين كرسوا حياتهم للنهوض بالأمة في ميادين العلم والعمل والكفاح والجهاد، تلبيةً لدواعي الوفاء لهم، وتشميناً لجهودهم، وتعريفاً بمقامهم ومكانتهم، واستلهاماً لعطائهم الثرى.

وتحقيقاً لهذه الأغراض، آثرنا القيام بتأليف سلسلة (في رحاب نوابغ العلماء)، نلقى فيها الأضواء على جوانب مهمة من سيرة علمائنا الأفاضل، ونعرض لأهم آرائهم وأفكارهم ونتائجهم المتميزة.

ونحن إذ ننشر هذه السلسلة، لا نستهدف من ورائها دعوة الشباب إلى أن يكون عظامياً، يفخر فقط بما أنجزه الماضون من علمائنا الأبرار، وينأى بنفسه عن بناء حاضر مشرق زاخرٍ بالحياة والنشاط، وإنما هي دعوة إلى التواصل مع التراث الحي، الذي يبعث الجيل الحاضر على الفخر والاعتزاز لشعوره بأن ثقافته أمتة وحضارتها

ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، ثم هو - الجيل الحاضر - يحاول
الإفادة منه، وتطويره بما ينسجم ومتطلبات العصر، وتطلّعات الشباب
المتوّب للتقدم والنهوض لخدمة إسلامه العزيز وأُمّته العظيمة.

وهنا نحن نقدّم إلى القراء الأعزاء نماذج من حياة لفيف من
علمائنا وقادتنا، لتكون نبراساً يستهدون به في مسيرتهم نحو الخير
والكمال. كما نقدّمه إلى المؤتمر الذي أُقيم تكريماً للسيد الإمام الراحل
السيد شرف الدين في عاصمة العلم والفقه والدين، قم المقدسة في
الثالث والرابع من صفر المظفر عام ١٤٢٦هـ. والله المسدّد ومن وراء
القصد.

المؤلف

الحادي عشر من شعبان المعظم

١٤٢٦هـ

الإمام شرف الدين باحثاً ومجاهداً وداعية للإصلاح والوفاق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(١)

أما بعد، فلنأتي أتقدم بالشكر والتقدير إلى الإخوة المسؤولين في مكتب الإعلام الإسلامي لما بذلوه من جهود في عقد هذا المؤتمر الدولي المخصص لتكريم العلامة السيد شرف الدين العاملي رحمته الله.

إنها - والله - لفرصة طيبة وجميلة أن نلتقي في رحاب العلامة السيد شرف الدين لنحيي مآثره الخالدة في حقول الدين والمذهب والأمة، ونقتطف منها أزاهير نعتطر بأريجها الزاكي، هذا الحفل المبارك الذي يجتمع فيه العلماء الأعلام والأساتذة والأدباء والفضلاء، فأهلاً بكم جميعاً

ومرجباً.

وَنُودُ في هذا الوقت الَّذِي تَهَبُّ فِيهِ أعاصير الشرِّ والطغيان
لنستأصل المبادئ والقيم الرفيعة، وتسلب حقَّ الشعوب في تحقيق
كرامتها وحريتها واستقلالها... نُودُ في هذا الوقت العصيب أن نحْيِي
بألستنا وقلوبنا وعواطفنا الصادقة الوَفْدَ الكريم الَّذِي حَلَّ علينا ضيفاً
من ربوع العلم والفكر والجهد والتضحية والفداء، تلك الربوع التي
أُنبتت فطاحل العلماء والفقهاء والمفكرين والأدباء، كما نحْيِي الإخوة
الأفاضل الأماجد الوافدين من العراق، فشكراً للجميع.

لا شكَّ في أَنَّ الأُمَّةَ الَّتِي تتسلَّحَ بالعلم والإيمان واليقظة والوحدة،
لا يمكن أن تضعُفَ أو تُستَقَلَّ مهما كانت الخطوب والمحن الَّتِي
تداهمها.

وفي هذا العصر أثبت علماء لبنان المجاهدون وأحرارُه وصناديده
أنهم أعزَّ وأمنع من أن تتناولَ عليهم الذئاب، أو تنظليَ عليهم أحابيل
الأفاعي مهما لان مُشْها، أو تخدعهم شعارات الديمقراطية المزيفة الَّتِي
رأينا صوراً منها في مُدن العراق المُستباحة، وسجونهِ الحافلة بكلِّ ما
يبعث على التفرُّز والاشمئزاز.

لقد اتضح تماماً أَنَّ أحرار لبنان ومجاهديه على مستوى المسؤولية
في شتى الظروف والأحداث، فبالأمس وثبَّ رجاله الأشاوس لتحرير
أرضهم من دنس العدو الصهيوني الَّذِي رَدَّدَ الكثيرون - جهلاً وجبناً

وطمعاً - مقولة أسطورة جيشه الذي لا يُقهر، ولكن لم يمضِ وقت طويل حتى رأى العالم فرارَ جنوده من الميدان فرار الحُر من بطشة الليث المصور.

لقد كان لهذا الانتصار والمظاهرات الحاشدة صدى واسع ووقع مؤثر في نفوس الجماهير التي بدأت تقترب من الإيمان بأنَّ جولة الباطل لا بدَّ أن تنتهي بصولة الحق والإيمان والوحدة والإقدام، وأخذت تدنو من الاعتقاد بواقعية قول الشاعر:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بدَّ أن يستجيبَ القَدَر
ولا بدَّ لليل أن ينجلي ولا بدَّ للقيد أن ينكسر

واليوم، وثأراً للهزيمة التي مُني بها الصهاينة، وتنفيذاً لسياسة إخضاع الشعوب وإذلالها ومسح هويتها ونهب ثرواتها، تمت حياكة مؤامرة خبيثة في مصانع الكيان الصهيوني ودوائره العالمية وبتأييد بعض الفئات المخدوعة ببريق الديمقراطية الخادع أو المتاجرة بضمائرها للالتفاف على الإنجازات الكبيرة للشعب اللبناني وسوقه إلى دائرة الشرق الأوسط الكبير الذي تسعى أمريكا خاسئة لتحقيقه.

وهنا أيضاً، انطلقت الجموع لصنع ملحمة جديدة لإحباط هذه المؤامرة وإخماد الفتنة، والكشف عن زيف الادّعاءات والشعارات الكاذبة التي راحت تنزوي وتختفي أمام الحضور الجماهيري الحاشد الذي

أجبر الأعداء على الاعتراف بمرارة بحقيقة قوة ووعي وتلاحم الشعب، وعلى التفكير بأساليب جديدة تمهّد الطريق لأغراضهم الشريرة، ولكن الله تعالى والمؤمنين والأحرار لهم دائماً بالمرصاد «وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم».



برز في تاريخ الأمة الإسلامية عامة والشيعية الإمامية خاصة في كلّ قرن وعصر علماء كبار وعباقره عظام، بذلوا جهودهم في ترسيخ العقيدة الإسلامية في قلوب الناس وكشف حجب الريب والشكّ عن وجه الحقيقة، فكأنّهم هم المعنيون في حديث رسول الله ﷺ، إذ يقول:

«يحمل هذا الدين في كلّ قرن عدول يتفون عنه تأويل المبطلين

وتحريف الغالين، وانتحال الجاهلين كما ينفي الكير خبث الحديد»^(١).

وفي القرن الرابع عشر نجد رجالاً أحيوا الدين وأماتوا البدع وصدّوا سهام الأعداء المرسوقة، تشهد على جهادهم العلمي المتواصل كتب التراجم، ومعاجم الرجال.

ومن هؤلاء؛ الأجلة الأربعة الذين عاشوا في عصر واحد وبيئة واحدة وتخرجوا من مدرسة واحدة ولمسوا حلوا الحياة ومرّها في العراق والشام، أعني:

١. آية الله الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٤-١٣٥٢ هـ).

٢. آية السيد محسن الأمين العاملي (١٢٨٤-١٣٧٣هـ).

٣. آية الله الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (١٢٩٤-١٣٧٣هـ).

٤. آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي (١٢٩٠-١٣٧٧هـ).

فهؤلاء الأجلة هم حجج الإسلام بحق، ورافعو ألوية الجهاد العلمي ببيانهم وبنائهم بلا شك، فقد ثابروا في عملهم لأجل هداية الأمة، وصبروا على مضض الحياة من غير اكتراث بما يصيبهم في سبيل بلوغ هذا الهدف.

وحيث إنّ هذا المؤتمر ينعقد إجلالاً لأحد هؤلاء العباقرة الأربعة، أعني: العلامة الحجة آية الله العظمى السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي، فنود أن نلقي أضواء على جوانب من حياته.

خصائصه ومنجزاته

العالم الإسلامي تارة يقتصر سعيه في بلد خاص أو بأقليم معين، يبذل جهده من أجل إنارة الطريق لأهله فقط، ولكن هناك القليل من المصلحين ممن يحملون هموم المسلمين جميعاً، فيحررون أفكارهم عن قيد الإقليمية ويعطفون رغبتهم إلى العالم الإسلامي كله، فيكتبون للمسلمين عامة ومحاورونهم كذلك، فالمسلمون لديهم كأसन المشط، من غير ميز بين أقليم دون أقليم أو فئة دون فئة.

١. كان رجلاً عالمياً

وفي طليعة هؤلاء سيدنا الجليل عبد الحسين شرف الدين العاملي رحمته الله الذي يهدف في كل أثر حبره يراعه إلى تماسك المسلمين وتعاونهم وتمسكهم بالكتاب والسنة، فترى أنه يؤلف كتاباً باسم: «الفصول المهمة في تأليف الأمة» وهو من أجل الكتب الكلامية، تناول

فيه مسائل الخلاف بين الطائفتين على ضوء العقل والاستنتاج والتحليل، وقد ألفه في أيام شبابه، وتم في عام ١٣٢٧ هـ.

ومن دلائل كونه رجلاً عالمياً لا إقليمياً أنه ركب البحر عندما لم تكن أي طائفة في المنطقة، وتحمل جهد هذا النوع من السفر، فتوجه من لبنان إلى مصر عام ١٣٢٩ هـ والتقى فيها بأفذاذ المدرسة العقلية في مصر وعلى رأسهم الشيخ سليم البشري المالكي شيخ الجامع الأزهر، ودارت بينه وبين رئيس الأزهر مساجلات ومراجعات سوف نتحدث عنها فيما بعد.

ولم تكن هذه الرحلة فريدة في حياته وإن كان لها آثار جميلة، فقد زار عام ١٣٣٨ هـ دمشق ومصر وفلسطين مرة أخرى، وألقى خلالها محاضرات قيّمة واجتمع هناك مع مشايخ العلم وعباقرته.

كما أنه زار عام ١٣٤٠ هـ الأراضي المقدسة في عهد الشريف حسين وكان الموسم في ذلك العام من أحفل مواسم الحج، وكان للسيد بين جموع الحجاج مكانة شائعة بشهادة أنه أم المسلمين في المسجد الحرام، وكان المسجد مكتظاً بألوان المسلمين، وصلى من غير تقية.

وقد كان لهذه الرحلات أثر بارز في تعريف الأمة وتعريف الشيعة لأخوانهم، وتبيان أن الشيعة هم أخوانهم الذين افتقدوهم منذ قرون.

٢. الاهتمام بتوعية الشيعة

إن الإمام شرف الدين لما أكمل دروسه عند أعلام العصر وجهابذة

الوقت، كالمحقق الخراساني (١٢٥٥-١٣٢٩هـ)، والسيد كاظم اليزدي (١٢٤٧-١٣٣٧هـ)، وشيخ الشريعة (١٢٦٦-١٣٣٩هـ)، وغيرهم من أعلام النجف ومراجعها، غادر العراق ونزل بلاده فوجد أنَّ الأُمّية متفشية بين المسلمين عامّة، وعند الشيعة خاصّة، ولاحظ أيضاً أنَّ المناصب العليا بيد المسيحيّين، والمهن التي لا يرغب فيها المثقّفون تركت للشيعة، فهم يمارسون المهن والحرف البسيطة.

فأحسّ السيدُ بواجبه فجعل توعيتهم وتثقيفهم نصب عينيه، فقام بتأسيس المدرسة الجعفرية في صور وجعلها نواة لفتح مدارس أُخرى في هذا المضمار، وقال عند مراسم الافتتاح كلمة قيّمة دارت على الألسنة منذ أن قيلت إلى يومنا هذا، وهي: «لا ينتشر الهدى إلّا من حيث ينتشر الضلال».

وقد رسم بذلك الخط الذي يجب أن يسير عليه قادة المسلمين، فإن التآثر بالمسيحية أو المادية التي راجت في ذلك الزمان أو بعده أنّها حدثت في أوساط المسلمين عن طريق المراكز الثقافية كالمدارس والجامعات، فأخذ أساتذة العلوم يبشرون بالمسيحية تارة وبالمادية أُخرى في ثنايا دروسهم ومحاضراتهم. فإذا دخل الخصم في تحقيق مآربه عن هذا الطريق، فعلينا أن نسلك نفس هذا المنهج لتحقيق أهدافنا، لأنّه طريق معبّد ومنتج...

وإذا كان في ناموس الخلقة أن يرث الأبناء ما للأباء من الفضائل

والمناقب فإن كلمة السيد هذه، هي أشبه ما تكون بكلمات جدّه الإمام علي عليه السلام، فلو وجدناها مكتوبة في ثنايا قصار الكلم للإمام في «نهج البلاغة» لما شككنا في صدورها عنه عليه السلام، وهذه فضيلة رابية للإمام الراحل شرف الدين.

٣. فتح باب الحوار بين الطائفتين

سادت على المسلمين بعد رحيل الرسول ﷺ فكرتان مختلفتان:

إحدهما: أنّ المرجعية السياسية الدينية منصب إلهي يضعه سبحانه أين يشاء، وقد شاء أن تكون مختصة بأئمة أهل البيت عليه السلام، فهم الذين لهم الحق في تولي أمور المسلمين في شتى الحقول والمجالات.

ثانيهما: أنّ هذه المرجعية منصب بشري يمارسها من يختاره الصحابة من المهاجرين والأنصار، وقد قاموا بدورهم هذا في سقيفة بني ساعدة.

هاتان الفكرتان سادت على المسلمين إلى يومنا هذا، ولهم في هذا المجال؛ رسائل وكتب وموسوعات لا يمكن إحصاؤها.

إنّ أتباع هاتين الفكرتين يشتركون في أصول وفروع كثيرة تسهل لهم التمسك بعرى الوحدة الوثيقة، ولكنهم - وللأسف - تناسوا المشتركات، وضخّموا الأمر الذي يفرق بينهم، فأسفر ذلك عن عدم اطلاع طائفة على ما عند الطائفة الأخرى، ولذا نادى سيدنا شرف

الدين ﷺ بفتح باب الحوار لأجل تقريب الخطى بين الطائفتين، قائلاً: بأنّ ما يجمعنا أكثر ممّا يفرقنا.

إنّ باب الحوار، كان مفتوحاً إلى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس، فهذا هو الشيخ المفيد (٣٣٦-٤١٣هـ) قد ملأ كتبه وأماله بالحوارات العلمية، وتبعه في ذلك تلميذاه: الشريف المرتضى (٣٥٥-٤٣٦هـ) والشيخ الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ)، ولكن بعد هذه الفترة انسد باب الحوار بين أعلام المسلمين ولم يفتح إلّا في موارد يسيرة لا تكاد تذكر، فنهض السيد الراحل إلى فتحه من جديد عن طريق المكاتبة مع أحد أعلام أهل السنّة، أعني الشيخ سليم البشري (١٢٨٤-١٣٣٥هـ) شيخ الأزهر في عصره، وذلك بعدما هبط مصر أواخر عام ١٣٢٩هـ مؤملاً في ذلك تحقيق الأمانة التي أمّلتها، فوجد تربة مصر تربة خصبة بالعلم والذكاء، وقد جمع الحظ السعيد بينه وبين أحد أعلامها المبرزين المتميزين: «بعقل واسع، وخلق وادع، وفؤاد حيّ، وعلم عيلم، ومنزل رفيع» كما عبر الله في مقدّمة مراجعاته وهو يصف لقاءه معه بقوله: «شكوت إليه وجدي، وشكا إليّ مثل ذلك جداً وضيقاً، وكانت ساعة موفقة أوحّت إلينا التفكير فيما يجمع الله به الكلمة، ويلمّ به شعث الأُمّة، فكان ممّا اتفقنا عليه أنّ الطائفتين - الشيعة والسنّة - مسلمون يدينون حقاً بدين الإسلام الحنيف، فهم فيما جاء الرسول به سواء، ولا اختلاف بينهم في أصل أساسي يفسد التلبّس بالمبدأ الإسلامي الشريف ...».

فترتب على ذلك اللقاء الجميل مكاتبات ومراجعات بلغ عددها ٦٥ مراجعة، أي أن السيد قد تلقى خمساً وستين سؤالاً من شيخ الأزهر ليجيب عليها، وقد أجاب بعدد الأسئلة، فصار المجموع كتاباً علمياً تاريخياً حديثاً كلامياً كان له صدى واسع عندما طبع عام ١٣٥٥ هـ.

يُشار إلى أن المتحاورين لم يخرجوا عن أدب الإسلام وأدب المناظرة قيد شعرة، بل اتّهما تبادل عبارات التقدير والاحترام، وهذا ما نلمسه في ثنايا كلامهما، فهذا شيخ الأزهر يبدأ مراجعته الأولى بقوله: «سلام على الشريف العلامة الشيخ عبد الحسين الموسوي ورحمة الله وبركاته» ثم إنّه يكتب في ثنايا تلك المراجعة: وإني لواقف على ساحل بحرك اللجي، استأذنك في خوض عبابه والغوص على درره، فإن أذنت غصنا على دقائق وغوامض تحوك في صدرى منذ أمد بعيد، وإلاّ فالأمر إليك، وما أنا فيما أرفعه بباحث عن عثرة، أو متبع عورة، ولا بمفند أو مندّد، وإنما أنا نشاد ضالة، وبحاث عن حقيقة، فإن تبين الحق فإن الحق أحق أن يتبع، وإلاّ فأنا كما قال القائل:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرائي مختلف

فبادله السيد ﷺ الجواب الجميل وقال: «رمتني بآمالك ونزعت إليّ برجائك، وأنت قبله الراجي، وعصمة اللاجي، وقد ركبت من سوريا إليك ظهور الآمال، وحططت بفنائك ما شددت من الرحال، منتجعاً علمك، مستمطراً فضلك، وسأنقلب عنك حي الرجاء، قوي الأمل، - ثم يقول له - : فسل عما أردت، وقل ما شئت، ولك الفضل، بقولك

الفصل، وحكمك العدل»^(١).

هكذا كان العلماء في سماء الأدب، وهذا هو تقديرهما لحقوق كلا الطرفين.

٤. اهتمامه بالفقه الأكبر

اهتم سيدنا الراحل بالفقه الأكبر نظير اهتمامه بالفقه الأصغر، فإن قائمة أسماء مؤلفاته تشير إلى أن اهتمامه بعلم الكلام والعقائد ومسائل البنية التحتية للدين الإسلامي كان بنفس مستوى اهتمامه بمسائل الفقه الإسلامي، ويشهد على ذلك كتبه ومحاضراته في العقائد والكلام.

وهو رحمه الله يذكر في إجازته لآية الله السيد شهاب الدين المرعشي النجفي رحمه الله أن من شيوخ إجازته الإمام الفقيه المحدث محمد المعروف بالشيخ بدر الدين الدمشقي شيخ الإسلام في دمشق وأعلم أعلامها، قال: فقد لقيته في شعبان سنة ١٣٣٨ هـ بدمشق وحضرت درسه ليالي رمضان من تلك السنة وجرت بيننا مذاكرة تتعلق بمباحث الحسن والقبح العقليين وبإمكان رؤية الله تعالى وامتناعها وبقدم القرآن وحدوثه، فآل البحث إلى ميله التام إلى رأينا في كل من المسائل الثلاث....^(٢)

١. المراجعات: الأولى والثانية.

٢. مجلة آينه پژوهش «مرآة التحقيق» ٢٠٦.

نعم قد بذل الله جهوده الكثيرة في مسألة الإمامة والخلافة التي هي من الأصول عندنا ومن الفروع عند أهل السنة، حيث إن تنصيب الإمام عندهم من فروع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥. تبیین المسائل الخلافية

نحن نعتقد بأن الخط الفاصل بين الطائفتين السنة والشيعة أمر واحد لا غير، وهو أن الشيعي يرى أن المرجعية السياسية والعلمية بعد رحلة الرسول ﷺ تعود إلى أئمة أهل البيت من سلالة، وترى الطائفة الأخرى خلاف ذلك، هذا هو الفارق الأصيل بين الطائفتين.

وأما سائر المسائل فلا تمت إلى الخلاف الجوهرية بين الطائفتين، فهي إما مسائل كلامية أو مسائل فقهية.

مثلاً: المسائل الثلاث التي خاض فيها الإمام شرف الدين في دمشق وأقنع المخالف بها يراه الإمامية ليس شيئاً مما يختص بالإمامية، فإن المعتزلة أيضاً شاركت الإمامية بالتحسين والتقيح العقليين، وامتناع رؤية الله تعالى في الآخرة، وحدوث القرآن وعدم قدمه، ونظير ذلك المسائل الفقهية فإن الشيعي يرى عدم نسخ نكاح المتعة أو بطلان العول والتعصيب، كل ذلك خلافات فقهية لا تمت إلى أصول الدين بصلة.

فكل من يريد أن يعمق الخلاف أو الشقاق فإنما يتمسك بالمسائل الكلامية أو الفقهية، أو يتهم الطائفة بما هم براء عنه براءة يوسف من الذنب الذي ألصق به.

وعلى ضوء ذلك بحث السيد شرف الدين بعض المسائل الفقهية الخلافية تبعاً للقدماء من كلتا الطائفتين، فهذا هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى سنة ٣١٠هـ) يؤلف كتاباً باسم «اختلاف الفقهاء»، كما أن أبا جعفر أحمد بن محمد الطحاوي (المتوفى ٣٢١هـ) ألف كتاباً باسم «اختلاف العلماء»، هذا ما عند السنة.

وعند الشيعة نرى أن السيد المرتضى (٣٥٥-٤٣٦هـ) ألف كتاباً باسم «مسائل الخلاف في الفقه»، وتبعه تلميذه أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ) فألف كتاب «الخلاف في الأحكام»، ذكر فيه آراء الموافق والمخالف بسعة صدره وطول باعه.

إن هذه الكتب التي قام بتأليفها فطاحل العلماء من الطرفين كانت أداة التقريب بينهما، إذ ما من مسألة إلا وللشيعة الإمامية موافق من أحد الطوائف الأربعة أو أحد المذاهب البائدة، ولم يكن لهذه الكتب أي أثر سيئ.

كما ألف محمد بن حسن الشيباني (المتوفى ٢٩٨هـ) كتاباً باسم «الحجة على أهل المدينة» وقد طبع في أربعة أجزاء طرح فيه المسائل الخلافية بين مدرسة الرأي الذي هو من أعظم أتباعها ومدرسة أهل الحديث التي كان عليها المحدثون في المدينة كمالك وأتباعه، ولم توصف هذه الكتب بشق العصا أو توسيع نطاق الخلاف، لأنها كانت بحوثاً علمية فكرية توجب تقدّم عجلة الفقه إلى الأمام.

وفي القرن السابع قام أحد الفطاحل من علماء الشيعة الذي قلما يتفق في الزمان أن يسمح بمثله وهو الإمام العلامة الشيخ الحسن بن يوسف المطهر الحلي (٦٤٨-٧٢٦هـ)، قام بتأليف كتابين قيمين، وهما:

١. تذكرة الفقهاء.

٢. منتهى المطلب في تحقيق المذهب.

أورد فيهما آراء الصحابة والتابعين والفقهاء، بصدر رحب، ونقل دليل كل طائفة على رأيه وذكر مذهبه مع دليله.

فنحن نتلقى هذه الكتب تحقيقاً للفقهاء وإنارة للمذهب.

فتبعاً لسيرة هؤلاء الأعظم قام سيدنا شرف الدين بالبحث حول المسائل الفقهية الخلافية، وهو وإن لم يستقصها جميعاً ولكنه أدلى بمهمات المسائل الخلافية، وألف في ذلك كتاباً طبع باسم: المسائل الفقهية.

وعلى ضوئه سرنا في كتابنا «الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف» فاستقصينا المسائل الخلافية التي اشتهرت بها الشيعة الإمامية كالمنع عن مسح الخفين، وغسل الأرجل والتي لم تتجاوز عن ٢٦ مسألة.

إن اختلاف الفقهاء في المسائل العملية نابع عن الاختلاف في المدارك التي يعتمدونها في استنباط الأحكام، وكلّ منهم يطلب الوصول إلى الحكم الواقعي بنية خالصة. فرحم الله علماءنا الماضين وحفظ الله الباقيين.

ولعلّ اختلافهم كان مثل اختلاف نبي الله داود وسليمان في قصة

الحَرْثَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، إِذْ يَقُولُ عَنْهَا: ﴿وَدَاوُدَ
وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ
شَاهِدِينَ﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ
الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١﴾.

وقد ذكر المفسرون حكمهما على وجه لا يصادم عصمتها، فمن
أراد تفصيل ذلك فليرجع إلى التفاسير.

٦. تأسيس منهج لتمييز الصحيح من الأحاديث

إِنَّ حَدِيثَ الرَّسُولِ ﷺ كَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حَجَّتَانِ عِنْدَ الْأُمَّةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ، غَيْرَ أَنَّ الْقُرْآنَ وَحْيَ بَلْفَظِهِ وَمَعْنَاهُ، وَأَمَّا حَدِيثُ الرَّسُولِ ﷺ
فَوَحْيٌ بِالْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ، وَقَدْ ارْتَحَلَ الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ وَتَرَكَ فِي الْأُمَّةِ
وَدِيعَتَيْنِ ثَمِيتَتَيْنِ، وَهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ وَعِثْرَتُهُ الَّذِينَ هُمْ حِفْظَةُ سُنَّتِهِ وَمِبْلَغُو
أَحَادِيثِهِ.

غَيْرَ أَنَّ تَحْرِيمَ كِتَابَةِ السُّنَّةِ وَالتَّحَدُّثِ بِهَا فِي عَصْرِ الْخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ
(خَاصَّةً الثَّانِي مِنْهُمْ) أَفْرَزَ مَشْكَلَةً كَبِيرَةً هِيَ ذَهَابُ كَثِيرٍ مِنْ حِفْظَةِ
الْحَدِيثِ مَعَ أَحَادِيثِهِمْ دُونَ أَنْ يَكْتُبَ أَوْ يَنْقُلَ، فَحُلَّ مَحَلَّهُمْ مُسْتَسْلِمَةٌ
أَهْلُ الْكِتَابِ، فَرَوَّجُوا الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ وَالْمَسِيحِيَّاتِ وَالْمَجُوسِيَّاتِ، فَتَلَقَّتْهَا
الْأُمَّةُ عُلَمَاءً نَاجِعًا مَلَأُوا بِهِ كُتُبَهُمْ.

وفي نهاية القرن الأول تنبّه عمر بن عبد العزيز إلى الخسارة الفادحة المتوجهة إلى التراث النبوي من ترك كتابة الحديث والتحدّث به، فكتب إلى عامله في المدينة المنورة أبي بكر بن حزم قائلاً: أنظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإنّي خفتُ دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلّا حديث النبي ﷺ، ولتفسوا العلم ولتجلسوا حتّى يعلم من لا يعلم، فإنّ العلم لا يهلك حتّى يكون سرّاً.^(١)

ومع الحثّ الأكيد من جانب الخليفة الأموي لم تكن هناك حركة سريعة بالنسبة إلى هذا الموضوع، إلى أن دالت دولة الأمويين وقامت محلّها دولة العباسيين وأخذ أبو جعفر المنصور بمقاليده الحكم، فعندئذ قام المحدثون بتدوين الحديث عام ١٤٣ هـ.^(٢)

وفي خلال الفترة التي أُهملت فيها (باستثناء شيء يسير) السّنة النبوية كتابة وتحديثاً، دخلت الإسرائيليات والمسيحيات والمجوسيات والمكذوبات على لسان رسول الله ﷺ عن طسريق تجار الحديث والمستأكلين به، فاحتاج المحقّقون إلى تمييز الصحيح عن غيره، والصادق عن الكاذب بعلم الرجال الباحث عن صفات الراوي ضبطاً وثقةً.

فمن ذلك العصر صار المحور في نقد السّنة في ألسن الرواة

١. صحيح البخاري: ١/٢٧، باب كيف يقبض العلم، من كتاب العلم.

٢. تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٦١.

وتحيص الأحاديث النبوية هو صفات الراوي، من حيث كونه عادلاً حافظاً ضابطاً مسنداً إلى غير ذلك من الصفات.

ولكن القوم غفلوا عن أنّ هناك طريقاً آخر في جنب الطريق الأول وهو نقد مضمون الحديث بأصول علمية وهي:

١. عرض الحديث على الكتاب.

٢. عرض الحديث على السنّة القطعية المتواترة.

٣. عرض الحديث على العقل الحصيف الذي به يخاطبنا سبحانه في كتابه، ويحتج به علينا.

٤. عرض الحديث على التاريخ المتواتر المتضافر.

٥. عرض الحديث على ما اتفق عليه المسلمون.

فإذا كان الحديث مخالفاً لأحد هذه الأسس القطعية فإننا نعلم ضعف الحديث وعدم صدقه وتسرب الوضع إليه من إحدى النواحي دون أن يُتهم الصحابي أو التابعي أو مؤلف الكتاب به.

نعم الشرط هو عدم مخالفته، لا موافقته لأحد هذه الموازين، لوجود موضوعات مختلفة حفلت بها الأحاديث الكثيرة، دون أن يرد في القرآن الكريم - حسب أفهامنا - منها شيء.

فهذا النوع من دراسة الحديث مما رسمه سيدنا الراحل في كتابه «أبو هريرة» الذي نُسب إليه أكثر من خمسة آلاف حديث، مع أنّه لم يدرك من حياة النبي أكثر من ثلاث سنوات.

وهذا النوع من التحقيق يكر في بابيه، وقد سار عليه أحد أعلام مصر ألا وهو محمد الغزالي، حيث ألف كتابه «الحديث النبوي بين أهل النقل والفهم» الذي أثار ضجة عند بعض المتحجرين، وقام أئمة الجمعة والجماعة في بعض المساجد بالتنديد والتشهير بهذا الكتاب، وما ذلك إلا لأنهم ألفوا وأنسوا بصحة عامة ما في الصحاح والسنن على وجه لا يقبل النقاش.

رحم الله سيدنا الراحل الذي شق لنا هذا الطريق الذي سرنا على ضوئه في كتابنا «الحديث النبوي بين الرواية والدراية» حيث درسنا أحاديث ما يربو على أربعين صحابياً، بعد ذكر نبذة مختصرة عن سيرتهم ونماذج من روائع حديثهم، ثم أخذنا بالأحاديث الزائفة المخالفة لأحد هذه الأسس دون أن نتهم الصحابي أو التابعي بشيء، وإنما اتهمنا مضمون الحديث بالوضع والدس، ومما ذكرناه في هذا الكتاب أنموذج لما لم نذكر، وإلا فهذا النوع من التحقيق يحتاج إلى دراسة منهجية موسعة تقوم بمهامه لجنة عالمية بأصول التحديث وقواعده.

رسائل متبادلة بين العلمين:
عبد المتعال الصعيدي و السيد شرف الدين
حول كتاب «أبي هريرة»

لما صدر كتاب «أبو هريرة» للإمام شرف الدين إلى الأسواق، والذي سلك فيه مسلكاً جديداً في تقييم الأحاديث النبوية كما عرفت؛ أثار اهتماماً كبيراً لدى المحدثين والباحثين، لأنّ هذا النوع من الدراسة كان يُعدّ شيئاً غير مألوف في وقته باعتباره يمثل خطوة جريئة في مجال إزاحة الستار عن وجه الحقيقة، إذ أثبت بوضوح أنّ قسماً كبيراً مما روي عن أبي هريرة موضوع لا تصحّ نسبته إلى رسول الله ﷺ.

وقد قام عبد المتعال الصعيدي بنقد الكتاب في مقالات ثلاث نشرت في مجلة «الرسالة» الصادرة في القاهرة، وقد أجاب السيد شرف الدين عن نقد الكاتب بالترتيب، و كان ردّه صارماً وواضحاً لكلّ من طالع النقد والرد.

ونحن بدورنا ننشر نصوص النقد والرد وردودهما كما وردت بدون
تغيير .

«أبوهريرة»^(١)

تأليف : الأستاذ عبد الحسين الموسوي العاملي
بقلم : الأستاذ عبد المتعال الصعيدي

اسم كتاب ألفه الأستاذ الفاضل عبد الحسين الموسوي
العاملي ، وهو من الشيعة المقيمين بالشام ، وقد أراد أن يدرس أبا
هريرة درساً علمياً بريئاً من التعصب المذهبي ، ولكنه لم يكد يفتح
كتابه حتى وقع فيما فرّ منه ، وابتدأ من أول صفحة كتاباً لا ينظر إلى أبي
هريرة في ذاته ، وإنما ينظر إليه كشخص يقده أهل السنة المخالفون
له في الغلو في التشيع ، لأنّا معشر أهل السنة نتشيع لعلي وأهل بيته
رضي الله عنهم ، ونسلك في ذلك مذهباً وسطاً بين المغالين في
التشيع لهم ، والذين يكرهونهم من الخوارج ونحوهم ، وقد قال علي
رضي الله عنه : خير هذه الأمة النمط الأوسط ، يلحق بهم التالي ،
ويرجع إليهم الغالي .

فقد ذكر المؤلف أنّ الذي أوقع أهل السنة في الرضا عن أبي

هريرة إنما هو مذهبهم في تعديل كل صحابي، واعتقاد أن الصحبة عصمة لا يمتس صاحبها بجرح وإن فعل ما فعل، ثم ذكر أن الصحبة فضيلة جليلة ولكنها غير عاصمة، وأن الصحابة كان فيهم العدول والأولياء والأصفياء والصديقون، وكان فيهم مجهول الحال، وكان فيهم المنافقون من أهل الجرائم والعظائم، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ فعدولهم حجة، ومجهول الحال نتيين أمره، وأهل الجرائم لا وزن لهم ولا لحديثهم، وقد درس المؤلف أبا هريرة على هذا الأساس ليثبت أنه كان منافقاً كذاباً مجرمًا، فيكون عنده من الفريق الثالث الذي عدّه من الصحابة، ولا يكون هناك وزن له ولا لحديثه.

ونحن معشر أهل السنة لا نعتقد أن الصحبة عصمة، لأنه لا عصمة عندنا إلا مع وحي ونبوة، والشيعه هم الذين يقولون بوجود العصمة بعد النبوة، فالمؤلف فيما رمانا به من هذا على حد قولهم في أمثالهم: رمّني بدائها وانسلت.

فالصحابة عندنا رجال كسائر الرجال، يصيبون كما يصيبون، ويخطئون كما يخطئون، ولهذا كان مذهب الصحابي ليس حجة عند جمهور أهل السنة، وكان الشافعي فيما أظن إذا خالف مذهبه مذهب الصحابي يقول: هم رجال ونحن رجال فالصحابي قد يخطئ في رأيه، وقد يخونه سمعه فيخطئ فيما يرويه عن النبي ﷺ، وأهل السنة يجيزون

تخطئة الصحابي فيما يقع فيه من الخطأ، لا فرق في ذلك بين أبي هريرة وغيره من أصحاب النبي ﷺ، ولكنهم لا يجيزون تجاوز ذلك إلى الطعن في دينهم، ورميهم بما رمى به المؤلف أبا هريرة من أنه كان منافقاً مجرمًا كذاباً، لأن النبي ﷺ مات وهو راض عن أصحابه، ونحن نكرمهم برضانا عمن رضى عنه، وبالتأديب في حقّه وعدم الطعن عليه في دينه، وقد كان أبو هريرة من ألصق الأصحاب بالنبي ﷺ، فيهمنا أن يكون رضاه عنه في موضعه، وألا يكون رضاه عن منافق كان يخدعه في دينه، ولنخطئ أبا هريرة بعد ذلك فيما ثبت عليه أنه أخطأ فيه، مع صون اللسان عن السب والشتم والطعن في الدين، فليس هذا السب من النقد الصحيح في شيء، ولا من أدب الجدل في الدين والعلم، وقد نهانا الله عن ذلك في جدالنا مع من يخالفنا في الدين، فقال تعالى في الآية، ١٠٨ من سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(١)، وقال تعالى في الآية ٤٦ من سورة العنكبوت: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، والمسلم أحقّ بذلك مع المسلم.

وقد ثبت أنه كان هناك رواة يضعون الحديث على أبي هريرة، ومنهم إسحاق بن نجيح الملطي، وعثمان بن خالد العثماني، وابنه

١. دراسة أحاديث الصحابي وعرضها على الكتاب والسنة المتواترة والمتضافرة وإجماع المسلمين والتاريخ الصحيح لا يمت إلى السب بصله، فاتهام السيد شرف الدين ﷺ بالسب صدر غفلة عن معنى السب.

محمد، وهو الذي روى عن أبي هريرة أنه دخل على رقية بنت رسول الله ﷺ امرأة عثمان بن عفان وبيدها مشط، فقالت خرج رسول الله ﷺ من عندي آنفاً رجّلت شعره، فقال لي: كيف تجددين أبا عبد الله - يعني عثمان - قلت: بخير، قال: أكرمي، فإنه من أشبه أصحابي بي خلقاً. وهذا حديث باطل، لأن رقية ماتت في غزوة بدر، وأبو هريرة إنما أسلم بعد فتح خيبر، فلنحمل مثل هذا على أولئك الرواة، ولا داعي إلى الطعن في أبي هريرة.



ولما قرأ الإمام السيد شرف الدين النقد المذكور كتب ردّاً عليه وإليك نصّه:

كتاب «أبو هريرة»^(١)

نشرت مجلّتكم الغراء «الرسالة» - في عددها ٧١٥ - كلمة للأستاذ الفاضل الشيخ عبد المتعال الصعيدي حول كتابي «أبو هريرة» فأبرأته مما نال مني ولم أتعبه فيما أفرط فيه من التمويه والمغالطة.

ولكن البحث العلمي فرض عليّ أن أمعن في قوله: «وقد ثبت أنّ هناك رواية يضعون الحديث على أبي هريرة ومنهم إسحاق بن نجيح الملطي وعثمان بن خالد العثماني وابنه محمد وهو الذي روى عن أبي

هريرة أنه دخل على رقية بنت رسول الله امرأة عثمان بن عفان ويدها مشط فقالت خرج رسول الله من عندي أنفأ رجلت شعره. فقال لي: كيف تجددين أبا عبد الله - يعني عثمان - قلت: بخير. قال: أكرمه فإنه من أشبه أصحابي بي خلقاً. [قال:] وهذا حديث باطل، لأن رقية ماتت في غزوة بدر وأبو هريرة إنما أسلم بعد فتح خيبر [قال:] فلنحمل هذا على أولئك الرواة ولا داعي إلى الطعن في أبي هريرة.

قلت: لا يمكن حمله على أولئك الرواة من وجهين:

١. ثبوته عن أبي هريرة بالسند المتصل الصحيح وقد أخرجه وصححه الحافظ الكبير إمام المحدثين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري في كتاب معرفة الصحابة أثناء ذكر وفاة رقية ودفنها في ص ٤٨ من الجزء ٤ من المستدرک وأورده الذهبي في تلخيصه معترفاً بصحة سنده وإنكار متنه.

٢. أمعنا في البحث عن سند هذا الحديث فلم نجد أحداً قبل اليوم زعم أنه يروى من طريق محمد بن عثمان بن خالد. وإنما روي بسندين لا ثالث لهما أوردهما الحاكم، وليس في واحد منهما إسحاق بن نجيع الملطي ولا عثمان بن خالد ولا ابنه محمد فكيف نحمله عليهم والحال هذه يا منصفون؟!

وليت الشيخ يدلنا على مأخذه فيما حمله على محمد بن عثمان بن خالد العثماني إذ قال: وهو الذي روى عن أبي هريرة أنه دخل على رقية ويدها مشط الخ، ومتى فعله كنا له شاكرين وسدد الله من أمعن

في نقد كتابي بنصح فبهني إلى أخطائي محرراً للحق مجرداً من
سواه .

عبد الحسين شرف الدين



هذا وقد حاول عبد المتعال الصعيدي تصحيح ما أخطأ فيه
فكتب مقالاً موجزاً جواباً للسيد، هذا نصّه:

حول أبي هريرة ^(١)

كُتبت كلمة نقد لكتاب أبي هريرة سلكت فيها جادة الإنصاف ،
ووضعت توجيهاً جديداً لدراسة أبي هريرة دراسة عادلة ، ولكن هذا لم
يعجب صاحب الكتاب ، ولم يعجب بعض إخواننا من الشيعة ،
فحملوا عليّ في بعض جرائدهم حملة ظالمة ، وقد ردّ عليّ صاحب
الكتاب بكلمة في «الرسالة» لم يأت فيها بشيء نحو ذلك التوجيه
الجديد في دراسة أبي هريرة ، ولم يجد فيما يأخذه عليّ إلا إسناد
حديث دخول أبي هريرة على رقية إلى محمد بن خالد بن عثمان ، وقد
كنت ذكرت معه بعض أسماء من كان يضع الأحاديث على أبي هريرة ،
فسقط في الطبع بعض هذه الأسماء ^(٢) ، وترتب على هذا إسناد ذلك

١ . مجلة الرسالة، العدد ٧٢، السنة ١٥، المورخة ١٦/٥/١٩٤٧م.

٢ . نظن بالكاتب حسناً، لما ورد: ضع أمر أخيك على أحسنه.

الحديث إلى محمد بن خالد . والحقيقة أنه من وضع غيره لا من وضعه ، وقد ورد هذا الحديث بروایتين في مستدرک الحاكم ، جاء في إحداهما محمد بن أحمد بن سعيد الرازي ، وهو من الضعفاء ، والمطلب بن عبد الله ، وهو من الضعفاء أيضاً ، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وقد ضعفه النسائي والبخاري .

وجاء في الرواية الثانية عبد المنعم بن إدريس عن وهب بن منبه ، وهو قصاص لا يعتمد عليه ، وقد ذكر أحمد بن حنبل أنه كان يكذب على وهب بن منبه ، وذكر البخاري أنه ذاهب الحديث .

فلم يبق إلا تصحيح الحاكم لسند هذا الحديث ، ولا شك أن تصحيحه له يشمل أبا هريرة أيضاً ، فلا يصح لصاحب كتاب أبي هريرة أن يعتمد عليه في رأيه فيه ، وقد قال الحاكم عقب هذا الحديث : ولا أشك أن أبا هريرة رحمه الله تعالى روى هذا الحديث عن متقدم من الصحابة أنه دخل على رقية رضي الله عنها ، لكنني قد طلبته جهدي فلم أجده في الوقت ، وهذا هو الإنصاف الذي يجب أن يدرس به أبو هريرة وغيره .

وقد جاءني من حضرة الفاضل الشيخ عبد الرحمن الجمجوني أنه وجد هذا الحديث في كتاب التاريخ الصغير للبخاري (ص ١٠٠) وأنه ذكر إسناده إلى المطلب بن عبد الله عن أبي هريرة ، ثم قال : ولا يعرف للمطلب سماع من أبي هريرة ، ولا تقوم به الحجة ، فأعلاه بالانقطاع . وقد ذكر هذا الأستاذ الفاضل أن الحاكم يروي في كتبه ما لا

يعقل ، وقد طعن في بعض أحاديثه الإمام السيوطي في كتابه (الآلالي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة) وكذلك طعن فيه صاحب كتاب (الصارم المنكي). وذكر الشيخ عبد العزيز الخولي في كتابه (مفتاح السنة) أنَّ في المستدرك للحاكم كثيراً من الموضوعات ، وطعن فيه صاحب المنار في المجلد السادس منها ، والشيخ طاهر الجزائري في كتابه (توجيه النظر إلى أصول الأثر).

وما كان أحرى صاحب كتاب أبي هريرة أن يتناول دراسته بهذا التوسع الذي يجده في دراسة هذا الحديث ، ويثبت منه أنه موضوع على أبي هريرة ، لا أن أبا هريرة هو الذي وضعه على النبي ﷺ .

عبد المتعال الصعيدي

وقد أجاب السيد على هذا التصحيح بمقال أكثر تفصيلاً وهذا

نصّه:

أبو هريرة والصعيدي^(١)

كان الأستاذ عبد المتعال الصعيدي نشر - في العدد ٧١٥ من الرسالة الغراء - كلمة حول كتابنا «أبو هريرة» فأجبناه بما نشرته الرسالة - في عددها ٧١٨ - جنحنا في جوابه إلى الدعة لا نسأله عن شيء مما غالط

١. مجلة الرسالة، العدد ٧٢٤، السنة ١٥، المؤرخة ١٩/٤/١٩٤٧م، الصفحة ٥٧٥.

به أو غلط فيه كالعصمة التي حمل بها حملته على غير روية، فإنّ العصمة من الذنوب - التي تثبتها الإمامية للأنبياء وأوصيائهم - شيء، والعصمة من الجرح المسقط لعدالة المجروح - التي يثبتها أهل السنة لكلّ صحابي - شيء آخر.

واليوم وإفانا العدد ٧٢١ من الرسالة فإذا به يعترف بالغلط في نسبة وضع الحديث إلى محمد العثماني المذكور فقال: والحقيقة أنّه من وضع غيره لا من وضعه.

ثمّ ضعف سنده بما لا تتنزه عن مثله أسانيد كثير من الصحاح، على أنّه لم يستند في تضعيفه إلى أئمة الجرح والتعديل وإنّا أرسل تضعيفه كسائر مراسلاته.

ونحن نستند في تصحيحه إلى إمامين مسلمي الإمامة في الجرح والتعديل عند أهل السنة، حجّتين عندهم في السنن لا يدافعان، الحاكم في المستدرك، والذهبي في تلخيصه (ص ٤٨ من الجزء الرابع).

والأستاذ لا يجهل دأب الذهبي في تعقّب الحاكم وإفراطه بتضعيف كثير من صحاح المستدرك وإسقاط بعضها بأقل شبهة، لكنّه مع ذلك لم يتعقبه في هذا الحديث بل صرح بصحّته عن أبي هريرة. فقال: صحيح منكر المتن، فإنّ رقية ماتت وقت بدر وأبو هريرة أسلم وقت خيبر.

وما كان الذهبي ولا الحاكم مع حسن ظنهما بأبي هريرة ليثبتا عنه هذا الباطل لو وجدا إلى حملة على غيره سبيلاً، لكنّها الأمانة لا

يحمل وزرها إلّا من (كان ظلوماً جهولاً).

وقد حاول الحاكم صرف الباطل عن أبي هريرة - كما جاء في كلمة الأستاذ - لكنّه لم يفلح .

نقل الأستاذ أنّ كلاً من الإمام السيوطي و الشيخ الخولي وصاحب المنار والشيخ الجزائري طعنوا في بعض أحاديث المستدرك ونحن نقول : إنهم طعنوا في البعض من حديثه ، لكنهم لم يذكروا هذا الحديث بسوء ، ولو كان ضعيفاً لنتهوا إلى ضعفه ، ولو كان من الأحاديث الموضوعة لنظمه السيوطي وغيره في سلك الموضوعات ، ما علمنا أحداً من أئمة الحديث فعل ذلك .

أمّا ما نقله الأستاذ عن الفاضل الجمجوني - من انقطاع الحديث ، لأنّ المطلب بن عبد الله لا يعرف له سماع عن أبي هريرة - ففيه نظر ، وقد قيل : إنّ الذي لم يدرك أبا هريرة إنّما هو المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب ، وراوي الحديث إنّما هو المطلب بن عبد الله بن حنطب ، فهما - على الأصحّ - اثنان يروي الأول منهما عن أنس وجابر وابن عمر وعائشة وأبي هريرة ، وروى عنه الأوزاعي وعمرو بن أبي عمر ، وقد وثقه أبو زرعة والدارقطني وحديثه ثابت في السنن الأربعة وغيرها .

وهب أنا صرفنا النظر عن هذا الحديث ولوازمه الباطلة فما رأي الأستاذ وسائر المنصفين فيما يلزم أبا هريرة من أحاديثه الثابتة عنه في الصحيحين ؟ وحسبهم منها ما اشتمل عليه كتابنا «أبو هريرة» في

جميع فصوله فليمعن به الأستاذ، وليدع توجيهه الجديد جانباً وليسلك جادة العلماء المنصفين ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ والذي دعانا إلى هذا إنما هو الذود عن السنّة المقدّسة والغيرة على الإسلام والمسلمين بتمحيص الحق المتصل بحياتنا العلمية والعقلية اتصالاً مباشراً، إن أريد إلاّ الإصلاح ما استطعت .

صور - لبنان

عبد الحسين شرف الدين



وبذلك تمت النقود والردود الأربعة ولكن الأستاذ الصعيدي حاول أن يحرز الفوز في هذه المساجلة ، فكتب رسالة مختصرة هذا نصّها :

كلمة أخيرة في أبي هريرة^(١)

قرأت ما كتبه الأستاذ عبد الحسين شرف الدين في العدد ٧٢٤ من مجلة الرسالة، فوجدته يدّعي أنّا معشر أهل السنّة نذهب إلى عصمة الصحابة من الجرح المسقط لعدالة المجروح، وهذا ليس بصحيح، لأنّ العصمة خاصة عندنا بالأنبياء، وعدالة الصحابة عندنا لا ترجع إلى عصمتهم، لأنّه يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم، وإنّا ترجع إلى ما كان

١ . مجلة الرسالة، العدد ٧٢٥، السنة ١٥، المؤرخة ١٦/٥/١٩٤٧م.

من تحرزهم في دينهم، وما يأخذه أخواننا من الشيعة عليهم يرجع إلى رأيهم في الخلافة، ومثل هذا لا تسقط به عدالة.

ثم وجدته يعود إلى حديث دخول أبي هريرة على رقية، وإلى تصحيح الحاكم لسنده، مع أنّ البخاري أعله بالانقطاع، ومع أنّي أثبت له ضعف هذا السند في روايتي الحاكم، واعتمدت في هذا على كتاب ميزان الاعتدال للذهبي، وقد ذكر الأستاذ أنّي ضعفت هذا السند بما لا يتنزه عن مثله أسانيد كثير من الصحاح، وفاته أنّه يكفر أبا هريرة بهذا الحديث ويتهمه بوضعه، ولا يصحّ تكفير مثل أبي هريرة إلّا إذا لم يكن مطعن ما على غيره، فإذا كان هناك مطعن ما على غيره لم يصحّ تكفيره، لأنّ التكفير لا يثبت إلّا بقاطع فيه.

على أنّ تصحيح الحاكم لسند ذلك الحديث لا يفيد الأستاذ فيما يريده من إثبات وضعه، ومن أنّ واضعه أبو هريرة، لأنّ الحديث الذي يصحّ سنده دون متنه لا يكون موضوعاً، وإنّما يكون في متنه غلط أو نحوه، كما تقرر هذا في علم مصطلح الحديث، أمّا طلب الأستاذ أن ينظر في غير هذا الحديث من كتابه فيمنع منه أن مجلة الرسالة لا تتسع له.

عبد المتعال الصعيدي



وقد قمت بوظيفة الأمانة في نقل المقالات نقداً ورداً ولكن بما أنّ

الحقيقة بنت البحث نعلّق على المقال الأخير للأستاذ عبد المتعال الصعيدي حتى يتضح أنّ ما أنكره من عصمة الصحابة من الجرح المسقط لعدالة المجروح من الأصول الثابتة عند غير واحد من رجال الجرح والتعديل .

١ . أنّ إنكار عصمة الصحابة من الجرح المسقط لعدالة المجروح ، في غير محلّه ، وهذا هو ابن الأثير يقول : «والصحابه يشاركون سائر الرواة في جميع ذلك إلّا في الجرح والتعديل ، فإنّهم كلّهم عدول لا يتطرّق إليهم الجرح» .^(١)

وقال الحافظ ابن حجر في الفصل السادس من الإصابة ، نقلاً عن زرعة : إذا رأيت الرجل يتقصّ أحداً من أصحاب رسول الله فاعلم أنّه زنديق وذلك أنّ الرسول حقّ ، والقرآن حقّ ، وما جاء به حقّ ، وإنّما أدى إلينا ذلك كلّهُ الصحابة وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى وهم زنادقة .^(٢)

٢ . إنّ جرح الراوي سواء أكان صحابياً أم لا ، لا يمت إلى تكفيره بصلّة ، فإنّ التكفير يتعلق بإنكار التوحيد ورسالة النبي الخاتم واليوم الآخر ، وأمّا القول بأنّ (فلان) الصحابي ، كذب على رسول الله ، فلو كان صادقاً وكان الجرح بنية سليمة كان مأجوراً ، لأنّه عرّف

١ . أسد الغابة: ٣/٢ .

٢ . الإصابة: ١/١٧ .

للأوساط العلمية من يجب التحرز عنه في أخذ معالم الدين وفروعه وأصوله . وإن كان كاذباً في جرحه يُعدّ مأثوماً ويعاقب على كذبه .
فالتركيز على أنّ السيد شرف الدين بصدد تكفير أبي هريرة أمر خاطئ وبعيد عن الصواب . وقد روي عن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال : «كثرت الكذابة عليّ»^(١) ووصف عدة ممن كان حوله بالكذابة فهل كفّهم النبي ﷺ؟

دفاع عن الحقّ والحقيقة

انتقل العلمان الجليلان : الأستاذ عبد المتعال الصعيدي ، والإمام شرف الدين إلى رحمة الله الواسعة ولا نظن بهما إلّا خيراً ، ولا نقول فيما تبادلاه من المساجلات ، إلّا أنّه محاولة لنصرة الحقّ ، وكشف لوجه الحقيقة ، فللمصيب منهما أجران وللمخطئ أجر واحد .
وانطلاقاً من هذا المبدأ ، - وشهيداً لله - نذكر وثائق قيمة تُثبت بوضوح ، أنّ الحقّ مع الإمام شرف الدين وإنّ أبا هريرة لم يكن راوياً مثبتاً ، متحرزاً عن القول بغير علم ، ولا مكتسباً عن نسبة قول إلى النبي الأعظم مع عدم سماعه منه ، أو سماعه من غيره ، وربما كان يعتذر عن بعض زلاته وغفلاته بأنّه من كيس أبي هريرة لا من النبي الأعظم ، غفر الله لنا وله . وإليك تلك الوثائق :

١ . الإنصاح للشيخ المفيد: ٦٠؛ الاستنصار للكراچكي: ١١؛ الصراط المستقيم للعالمي:

١. أخرج غير واحد من المؤرخين والمحدثين، عن السائب بن يزيد أنه سمع عمر يقول لأبي هريرة: لتترك الحديث عن رسول الله وإلا لألحقنك بأرض الدوس. ^(١)

وقال لكعب: لتترك الحديث أو لألحقنك بأرض القردة. ^(٢)
 لم يكن الخليفة مانعاً عن التحديث بقله، ولذلك كان يقول:
 «أقلوا الرواية عن رسول الله» وإنما خالف أبا هريرة في تكثيره.
 ٢. روى ابن عجلان أن أبا هريرة، كان يقول: إنني لأحدث أحاديث لو تكلمت بها في زمن عمر، لشج رأسي.
 ٣. روى الشعبي قال: حدث أبو هريرة فسرده عليه سعد حديثاً، فوقع بينهما كلام حتى ارتجت الأبواب.

٤. روى إسحاق بن سعيد، عن أبيه قال: دخل أبو هريرة على عائشة، فقالت له: أكثر يا أبا هريرة عن رسول الله ﷺ، قال: أي والله يا أماء، ما كانت تشغلني عنه المرأة، ولا المكحلة، ولا الدهن، قالت: لعله.

٥. لما أرادوا أن يدفنوا الحسن في الحجرة النبوية وقع خصام.
 قال الوليد بن رباح: سمعت أبا هريرة يقول لمروان: والله ما أنت وال، وإنّ السوالي لغيرك، فدعه - يعني حين أرادوا دفن الحسن عليه السلام - مع رسول الله ﷺ - ولكنتك تدخل فيما لا يعينك، إنما تريد إرضاء من هو

غائب عنك - يعني معاوية -.

فأقبل عليه مروان مغضباً، وقال: يا أبا هريرة، إنَّ الناس قد قالوا أكثر أبو هريرة الحديث عن رسول الله ﷺ وإنَّما قدم قبل وفاته ببسیر. (١)
٦. أخرج البخاري عن أبي صالح، قال: حدَّثني أبو هريرة، قال: قال النبي ﷺ: أفضل الصدقة ماترك غني، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، تقول المرأة: إمَّا أن تطعمني وإمَّا أن تطلقني.

ويقول العبد: اطعمني واستعملني.

ويقول الابن: اطعمني إلى من تدعني؟

فقالوا: يا أبا هريرة، سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟!

قال: لا، هذا من كيس أبي هريرة. (٢)

ورواه الإمام أحمد في مسنده باختلاف طفيف في اللفظ. (٣)

انظر إلى الرجل ينسب في صدر الحديث الرواية إلى النبي ﷺ بضرر قاطع، ولكنَّه عندما سُئل عن سماع الحديث من رسول الله ﷺ عدل عمَّا ذكره أولاً، وصرح بأنَّه من كيسه الخاص أي من موضوعاته.

وبعد هذا فهل يصحَّ توثيقه؟!

١. سير أعلام النبلاء: ٦٠٥/٢.

٢. صحيح البخاري: ٧/٦٢، ٦٣، باب وجوب النفقة على الأهل والعيال من كتاب النفقات.

٣. مسند أحمد: ٢/٢٥٢.

هذه النصوص تعرب عن أن الرجل كان متهماً في عصره، وإن كان هو يبرّر عمله بأن الآخرين كانوا منشغلين بالصفق في الأسواق أو بالمرأة والمكحلة والدهن، ولكن كان في القوم من لم يكن له ذلك الشأن، كعلي بن أبي طالب عليه السلام وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي وأبيّ بن كعب وأبي أيوب الأنصاري وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو، إلى غير ذلك من أقطاب الحديث، الذين كان لهم شغف بنقل الحديث وضبطه وتحديثه، ومع ذلك لم يبلغ حديث أكثرهم معشار ما نقله أبو هريرة.

كان أبو هريرة يجلس إلى حجرة عائشة فيحدث، ثم يقول: يا صاحبة الحجر، أتتكرين مما أقول شيئاً؟

فلما قضت صلاتها، لم تُنكر ما رواه، لكن قالت: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد الحديث سرّكم.

وكذلك قيل لابن عمر: هل تنكر مما يحدث به أبو هريرة شيئاً؟ فقال: لا، ولكنه اجتراً، وجبناً.

فقال أبو هريرة: فما ذنبي إن كنت حفظت ونسوا. ^(١)

قال ابن عسّاكر: إنّ رجلين من بني عامر دخلا على عائشة، فقالا لها: إنّ أبا هريرة يقول: إنّ الطيرة في الدار والمرأة والفرس، فقالت: كذب والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم صلى الله عليه وسلم ما قاله إنّما قال: كان أهل الجاهلية يتطيرون من ذلك.

وعن عائشة أنها قالت لأبي هريرة: إنك تحدث عن رسول الله أشياء ما سمعتها منه؟! فقال لها مجيباً: إنّه كان يشغلك عن تلك الأحاديث، المرأة والمكحلة. ^(١)

هذه النصوص توقفك على حقيقة الحال وإنّ الرجل كان متهماً في روايته في عصره، ولكن القول بعدالة الصحابة وترفعهم عن الجرح والتعديل حال بين المحققين والتحقيق في رواياته ومروياته، ولولا ذلك لما أخذوا بكثير مما عزاه إلى النبي ﷺ.

التحديث بنصف ما حفظه

يظهر ممّا رواه أبو هريرة أنّه إنّما حدّث بنصف ما وعاه عن النبي ﷺ وحبس النصف الآخر لأنّ الظروف لم تساعد لبثه.

روى البخاري، عن المقبري، عن أبي هريرة، قال: حفظت من رسول الله وعاءين، فأما أحدهما فبثته وأما الآخر فلو بثته قطع هذا البلعوم. ^(٢) فلو أسعفته الظروف وحدث بالنصف الآخر، لبلغت أحاديثه عشرة آلاف.

التدليس في الحديث

قال يزيد بن هارون: سمعت شعبة، يقول: كان أبو هريرة يدلس.

١. مختصر تاريخ ابن عساکر: ٢٩/ ١٩٥-١٩٦.

٢. صحيح البخاري: ١/ ٣١، باب حفظ العلم من كتاب الايمان.

وذكره ابن عساكر في تاريخه والحافظ ابن كثير في البداية. ^(١)
ولما كانت شهادة شعبة تحطُّ من مكانة أبي هريرة عاد الذهبي
ناقضاً للقاعدة، فقال:

قلت: تدليس الصحابة كثير ولا عيب فيه، فإنّ تدليسهم عن
صاحب أكبر منهم، والصحابة كلّهم عدول.

وأنت خير بأنّ التدليس من أسباب الضعف، فكيف صار هناك
من أسباب الفخر، حيث قال: إنّ تدليسهم عن صاحب أكبر منهم.
وقد أشار الحافظ ابن كثير في البداية إلى تفسير كلام شعبة، بقوله:
«وكان شعبة يشير بهذا إلى حديث: «من أصبح جنباً فلا صيام له» فإنّه لما
عوتب عليه، قال: أخبرني به خبر ولم أسمعه من رسول الله ﷺ».

وأيّ تدليس كان أعظم من ذلك؟ بل كان ينسب ما سمعه من
كعب الأحبار إلى النبي ﷺ، وهو من أسوأ التدليسات، وها نحن نوقفك
على نموذج من هذا النوع من التدليس الذي كان يرتكبه أبو هريرة.
روى الطبري عن أبي نعيم، عن مقاتل بن حيان، عن عكرمة،
قال: بينا ابن عباس ذات يوم جالس إذ جاءه رجل، فقال: يا ابن عباس
سمعت العجب من كعب الخبر يذكر في الشمس والقمر.

قال: وكان متكئاً فاحتفز، ثم قال: وما ذاك؟ قال: زعم أنّه يُجاء
بالشمس والقمر يوم القيامة كأنّهما ثوران عقيران فيقذفان في جهنم.

١. انظر سير أعلام النبلاء: ٦٠٨/٢، قسم التعليق.

قال عكرمة: فطارت من ابن عباس شفة ووضعت أخرى غضباً، ثم قال: كذب كعب، كذب كعب، كذب كعب، ثلاث مرات، بل هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام، الله أجل وأكرم من أن يعذَّب على طاعته، ألم تسمع قول الله تبارك و تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ إنما يعني دؤوبهما في الطاعة، فكيف يعذَّب عبدين يُثني عليهما اتّهما دائبان في طاعته؟! قاتل الله هذا الخبر وقبح خبريته، ما أجرأه على الله وأعظم فريته على هذين العبدین المطيعين لله.

قال: ثم استرجع مراراً وأخذ عُويداً من الأرض فجعل ينكته في الأرض، فظلّ كذلك ما شاء الله، ثم إنّه رفع رأسه ورمى بالعويد، فقال: ألا أحدثكم بما سمعت من رسول الله ﷺ يقول في الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما فقلنا: بلى رحمك الله....^(١)

وهذا النسج الخرافي للقصة التي حاكتها مخيلة كعب وأضرابه، رواها أبو هريرة مباشرة عن النبي ﷺ.

روى ابن كثير في تفسير سورة التكوين:

حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادي، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا عبد العزيز بن المختار، عن عبد الله الداناج، قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد، مسجد الكوفة، وجاء الحسن فجلس إليه، فحدث، قال: حدثنا أبو هريرة: إنّ

رسول الله ﷺ، قال: إِنَّ الشمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة، فقال الحسن: وما ذنبهما؟

فقال: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَقُولُ أَحْسِبُهُ، قَالَ: وَمَا ذَنْبُهُمَا. ^(١)

ترى أَنَّ حديثاً واحداً يرويه رجل عن كعب، وفي الوقت نفسه يرويه أبو هريرة عن النبي ﷺ، فيما أَنَّ كعباً لم يدرك النبي ﷺ لم يستطع أَنْ ينسبه إليه، وبما أَنَّ أبا هريرة أدرك عصر الرسالة أخذ بالتدليس فنسب ما سمعه عن كعب إلى النبي ﷺ. وأَيُّ تدليس أسوأ من ذلك؟ وليس هذا إلا من مقولة الكذب المنافي للعدالة.

ومَّا يَقْضَى مِنْهُ الْعَجَبُ مَا ذَكَرَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيُّ لِتَصْحِيحِ هَذَا الْأَثَرِ حَيْثُ قَالَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كَالْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ لِأَهْلِ النَّارِ، مُعَذَّبَانِ لِأَهْلِ النَّارِ لَا مُعَذَّبَانِ فِيهَا، إِذْ لَا ذَنْبَ لَهَا. ^(٢)

يلاحظ عليه: أَنَّ التفسير خلاف ما فهمه المخاطبون بهذا الحديث، مضافاً إلى أَنَّهُ لَا يَنَاسِبُ قَوْلُهُ: «عَقِيرَان» وَمَا الْعَقْرُ إِلَّا لِتَعْذِيبِهِمَا.

وحيث إِنَّ أَهْلَ السَّنَةِ ذَهَبُوا إِلَى عَدَالَةِ الصَّحَابَةِ بِأَجْمَعِهِمْ أَخَذُوا بِرَوَايَاتِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَمْثَالِهِ دُونَ أَذْنَى تَحْقِيقٍ، وَإِذَا فَتَشَوْا عَنْ اسْنَادِ

١. تفسير ابن كثير: ٧/ ٢٢١، تفسير سورة التكوين.

٢. مشكل الآثار: ١/ ٤٨.

الرواية فإنما يفتشون عمّن ورد اسمه قبل الصحابة ، فإذا وصل الكلام إليهم يكسر القلم ويضبط اللسان فلا كلام فيهم وإن صدر عنهم ما صدر.

وفي الختام ، ندعو كل من يكتب حول فرقة أو فئة من المسلمين ، أو في موضوع من المواضيع الإسلامية ، أن يفكر في نتائج ما يكتب وينشر ، وهل هو في صالح المسلمين أو لا ؟! ومع ذلك فتمحيص الحديث النبوي من أفرض الفرائض ، وقد وقع ذريعة بأيدي المستشرقين للطعن بالنبي الخاتم ﷺ وشريعته وسنته .

وقد قام السيد ﷺ بهذا العبء الثقيل في إطار خاص ، وهو بذلك قد فتح الطريق للآخرين .

نسأل الله سبحانه أن يرزق المسلمين توحيد الكلمة ، كما رزقهم كلمة التوحيد .

وشهد شاهد من أهلها

قد عثرت أخيراً على كتاب بعنوان: «نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث» للكاتب السوري: إسماعيل الكردي والذي طرح بعض ما روي عن أبي هريرة على طاولة البحث ، وأدى حق المقال ونحن نذكره برمته ، ليكون حجة لمن يتهم الشيعة ، بالحققد وهل له أن يتهم كل من كتب حول روايات أبي هريرة من تمحيص ونقد ، بالحققد قال:

١. أبو هريرة وروايته عن كعب الأحبار وتقليسه عنه

لقد مرّ معنا ما ذكره بعض المحدثين، ومنهم الإمام البيهقي والإمام البخاري، في ردّهم لحديث «خلق الله التربة يوم السبت» الذي أخرجه مسلم، بسنده عن أبي هريرة مرفوعاً، حيث قالوا: إنّ الصحيح أنّه موقوف على كعب^(١) وأنّه غلط، ليس ممّا رواه أبو هريرة عن النبي، وأنّه ممّا أنكر الخذاق على مسلم إخراجه إياه^(٢). فيبدو أنّ مثل هذا حدث كثيراً عمّن رووا عن أبي هريرة، أي أنّه روى قصصاً وأحاديث سمعها من بعض مسلمة أهل الكتاب ككعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهما، فظن السامع منه والراوي عنه أنّه سمعها عن رسول الله!

وقد ذكر الحافظ الذهبي (٧٤٨هـ) في موسوعته الرجالية الضخمة «سير أعلام النبلاء» في ترجمته لأبي هريرة ما نصّه: «وقال بكير ابن الأشج عن بسر بن سعيد قال: اتقوا الله، وتحفظوا في الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة، فيحدّث عن رسول الله، ويحدّثنا عن كعب

١. أي كعب الأحبار الذي كان من أحبار اليهود في اليمن، ثمّ دخل في الإسلام بعد وفاة النبي، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر، فجالس أصحاب محمد فكان يحدّثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب، وتمرّن تتلمذ عليه، وأخذ عنه أخبار أهل الكتاب: أبو هريرة وابن عباس، (سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤٨٩-٤٩٠). وكان عمر ينهاه عن التحديث، ويهدده بإرجاعه لأرض القردة (أي اليمن التي جاء منها)!

٢. راجع الفصل الخامس (أحاديث انتقد محدثون حفاظ متونها): الحديث الثاني: خلق الله التربة يوم السبت.

(أي اليهودي المسلم كعب الأخبار)، ثم يقوم، فأسمع بعض من كان معنا، يجعل حديث رسول الله عن كعب، ويجعل حديث كعب عن رسول الله! ^(١).

وقال محقق «سير أعلام النبلاء» الأستاذ شعيب الأرنؤوط معلقاً على هذا الخبر في الحاشية: «أورده ابن كثير في البداية والنهاية: ج ٨/ ص ١٠٩ ^(٢)، من طريق مسلم بن الحجاج، عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، عن مروان بن محمد بن حسان الدمشقي عن الليث بن سعد عن بكير بن الأشج. وهذا سند صحيح. وهو في تاريخ ابن عساكر: ١٩/ ١٢١/ ٢. اهـ.

وبعد أن روى ابن كثير تلك الرواية أتبعها بقوله: «وقال يزيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يدلس، أي يروي ما سمعه من كعب وما سمعه من رسول الله ولا يميز هذا من هذا، ذكره ابن عساكر ^(٣)».

إنَّ وصم شُعْبَةَ لأبي هريرة بالتدليس، أخرجه عنه مسنداً: «ابن عدي الجرجاني» (المتوفى ٣٦٥هـ) في كتابه: «الكامل في ضعفاء الرجال» في أثناء ترجمته للإمام الحافظ شعبة، فقال: أخبرنا الحسن بن عثمان

١. سير أعلام النبلاء: ج ٢، ترجمة أبي هريرة، ص ٦٠٦.

٢. وهو في الطبعة التي أرجع إليها من البداية والنهاية: ٨/ ١١٢. [بيروت: دار الكتب العلمية].

٣. البداية والنهاية لابن كثير: ٨/ ١١٢.

الستري، أخبرنا سلمة بن شبيب قال: سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يدلس^(١).

والمشهور والمتعارف عليه عرفاً وتقليداً أنّ تدليس الصحابي لا إشكال فيه، لأنه لا يدلس إلا عن صحابي مثله، ولكن لا يخفى ما في تعميم هذه القاعدة من إشكال، لا سيما هنا، فقد رأينا كيف ذكر ابن كثير - في البداية والنهاية - أنّ تدليس أبي هريرة كان روايته للأحاديث وسرده للأخبار دون تمييزه لما سمعه من كعب الأحبار عما يرويه عن رسول الله! فينقل عنه الرواة أحاديث يظنونها عن النبي هي من حديث كعب!!

ومن الأمثلة على ذلك، ما أخرجه الترمذي وابن ماجة في سنتهما والإمام أحمد في مسنده، بسندهم عن أبي هريرة عن رسول الله قال - و اللفظ لأحمد في مسنده - : «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لِيَحْفَرُونَ السَّدَ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرُونَ شِعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمُ: ارْجِعُوا، فَسَتَحْفَرُونَهُ غَدًا، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ كَأَشَدَّ مَا كَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مَدَّتُهُمْ، وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَعْثُومَ عَلَى النَّاسِ، حَفَرُوا، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرُونَ شِعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمُ: ارْجِعُوا، فَسَتَحْفَرُونَهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَيَسْتَنِي، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ، وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَحْفَرُونَهُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ، فَيَنْشَفُونَ الْمِيَاهَ، وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ...

١. الكامل في ضعفاء الرجال: ٦٨/١. (ط ٣، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩ هـ،

الحديث^(١).

ذكر الحافظ ابن كثير هذه الرواية عن أبي هريرة بطرقها المختلفة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (الكهف: ٩٧-٩٨)، في تفسيره المعروف، وبعد نقله قول الترمذي عن الحديث بأنه غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه، قال (ابن كثير): «وإسناده جيد قوي، ولكن منته في رفعه (أي إلى النبي) نكارة، لأن ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه، ولا من نقبه لإحكام بنائه وصلابته وشدته، ولكن هذا قد روي عن كعب الأبحار أنهم قبل خروجهم يأتونه، فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل، فيقولون غداً نفتحه. فيأتون من الغد، وقد عاد كما كان يلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل. إلخ، (ثم قال ابن كثير): وهذا متجه، ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب، فإنه كان كثيراً ما كان يجالسه، ويحدثه، فحدث به أبو هريرة، فتروهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع (أي عن النبي) فرفعه، والله أعلم»^(٢).



ومثال آخر، ما أخرجه الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره، وابن أبي حاتم في تفسيره، وذكره ابن كثير في تفسيره بقوله: «وقد أورد ابن أبي

١. مستد أحمد: ٢/ ٥١٠-٥١١.

٢. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٣/ ١٠٢، (طبع الرياض، دار عالم الكتب).

حاتم (أي في تفسيره) هاهنا حديثاً غريباً منكراً فذكروا حديثاً بسند متصل عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله يحكي عن موسى على المنبر قال: «وقع في نفس موسى هل ينام الله عز وجل؟ فأرسل الله تعالى إليه ملكاً، فأرّقه ثلاثاً، وأعطاه قارورتين، في كل يد قارورة، وأمره أن يحتفظ بهما. فجعل ينام، وتكاد يدهاه تلتقيان، ثم يستيقظ، فيحبس إحداهما عن الأخرى، حتى نام نومةً، فاصطفقت يدهاه، فانكسرت القارورتان!». ^(١)

قال الحافظ ابن كثير بعد روايته هذا الحديث: «والظاهر أنّ هذا الحديث ليس بمرفوع، بل من الإسرائيلية المنكرة. فإنّ موسى عليه الصلاة والسلام أجل من أن يجوز على الله سبحانه وتعالى النوم، وقد أخبر الله عز وجل في كتابه العزيز بأنّه ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾...» ^(٢)

ومثال ثالث، ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده بسنده عن أبي هريرة أنّ رسول الله قال: «يخرج من خراسان رايات سود، لا يردّها شيء»

١. كلهم عند تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ الآية ٤١ من سورة فاطر، فانظر تفسير ابن كثير: ٣/ ٥٣٨-٥٣٩، وقد ذكره ابن كثير أيضاً ذيل تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ من آية الكرسي (أي الآية ٢٥٥) من سورة البقرة كذلك.

٢. المصدر السابق: ٣/ ٥٣٩.

حتى تنصب بإيلياء».^(١) فقد ذكر ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية» هذا الحديث، عند ذكره لما جاء من أحاديث أو أخبار ماثورة عن سقوط دولة بني أمية وقيام دولة بني العباس، نقلاً عن مسند أحمد، ثم قال: «وقد رواه البيهقي في الدلائل (أي دلائل النبوة) من حديث راشد بن سعد المصري. وهو ضعيف. ثم قال: قد روي قريباً من هذا عن كعب الأحبار وهو أشبه. ثم رواه عن كعب أيضاً، قال: تظهر رايات سود لبني العباس حتى ينزلوا بالشام، ويقتل الله على أيديهم كل جبار وعدو لهم!». ^(٢)

ب. مآخذ عدد من الصحابة على كثرة رواية أبي هريرة لما يوقعه ذلك في أوهام وأخطاء في بعض ما يرويها

ثبت في الصحيح أنّ عدداً من الصحابة ردّوا على أبي هريرة بعض ما رواه، ووهّموه في روايته، أو خطّوه في فهمه في أكثر من موضع:

١. من ذلك ما جاء في صحيح مسلم أنّ عائشة وأمّ سلمة غلّطتا أبا هريرة في حديث كان يرويها عن رسول الله، فلما واجهه بعض التابعين بذلك صرّح بأنّه لم يكن سمع ذلك الأمر من رسول الله حقيقة، بل

١. مسند أحمد: ٢/٣٦٥.

٢. البداية والنهاية لابن كثير: ١٠/٦٧. (طبعة دار أبي حيان بالقاهرة، على نفقة الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم). وفي طبعة بيروت: ١٠/٥١.

سمعه من الفضل بن العباس! وهذه هي الرواية:

أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال: [سمعت أبا هريرة يقص، يقول في قصصه: من أدركه الفجر جنباً فلا يصم.^(١) فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث (لأبيه) فأنكر ذلك. فانطلق عبد الرحمن، وانطلقت معه. حتى إذا دخلنا على عائشة وأم سلمة، فسألها عبد الرحمن عن ذلك. قال: فكلتاها قالت: «كان النبي يصبح جنباً من غير حلم ثم يصوم». قال فانطلقنا حتى دخلنا على مروان. فذكر ذلك له عبد الرحمن. فقال مروان: عزمت عليك إلا ما ذهبت إلى أبي هريرة، فرددت عليه ما يقول. قال: فجئنا أبا هريرة، وأبو بكر حاضر ذلك كله، قال فذكر له عبد الرحمن، فقال أبو هريرة: أهما قالتاه لك؟ قال: نعم. قال: هما أعلم!

ثم ردّ أبو هريرة ما كان يقول في ذلك إلى الفضل بن العباس. فقال أبو هريرة: سمعت ذلك من الفضل، ولم أسمع من النبي. قال: فرجع أبو هريرة عما كان يقول في ذلك. (ثم قال الراوي أبو بكر) قلت لعبد الملك: أقالتا: في رمضان؟ قال: كذلك. كان يصبح جنباً من غير

١. وأورد البخاري في صحيحه - في رواية معلقة عن همام وعبد الله بن عمر - كلام أبي هريرة هذا بصيغة صريحة في رفعها للرسول فقال: [وقال همام وابن عبد الله بن عمر عن أبي هريرة: «كان النبي يأمر بالفطر»]: صحيح البخاري، ٣٠، كتاب الصوم، ٢٢، باب الصائم يصبح جنباً، ح ١٩٢٦.

حلم ثم يصوم^(١)].

٢. ومن ذلك ما مرّ منا من إقلاع أبي هريرة عن رواية حديث «لا عدوى» وروايته لما يخالفه، ويثبت العدوى!، فلما استغرب بعض سامعيه من ذلك، وقالوا له ألم تكن تروي أنت نفسك أن لا عدوى؟! أنكر ذلك، ورطن بالحبشية، فاستغربوا منه إنكاره روايته رغم أنهم سمعوها منه، وقالوا: إنها أول مرة نجده فيها نسي!!^(٢)

٣. ومنه ما مرّ منا من ردّ السيدة عائشة حديث تعذيب الميت المسلم ببكاء أهله عليه ومن رواته أبو هريرة فضلاً عن عمر و ابنه عبد الله.

٤. ومنه أيضاً ما مرّ منا من ردّ عائشة بشدة لحديث أبي هريرة مرفوعاً: «يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب» وقولها: «قد شبهتمونا بالحمير والكلاب!!» وفي رواية للبخاري: «قد جعلتمونا كلاباً!!»^(٣)

٥. و منه ما مرّ من ردّ عائشة رواية أبي هريرة التي نقل فيها عن النبي ذمّه للشعر مطلقاً وقوله: «لئن يمتلئ جوف رجل قيحاً حتى يريه

١. صحيح مسلم، ١٣، كتاب الصيام، ١٣، باب صحة صيام من طلع عليه الفجر وهو جنب، ح ٧٥، وصحيح البخاري، ٣٠، كتاب الصوم، ٢٢، باب الصائم يصبح جنباً، ح ١٩٢٦.

٢. راجع الفصل الرابع: (مختلف الحديث ومتعارضه في الصحيحين): فقرة هل نفى رسول الله العدوى أم أثبتها؟ من هذا الكتاب.

٣. راجع الفصل الرابع: (مختلف الحديث ومتعارضه في الصحيحين): فقرة ٨.

خيرٌ من أن يمتلئ شعراً!!».

٦. وقد روي عن السيدة عائشة أيضاً أنها رَدَّت رواية أبي هريرة

عن رسول الله عن أن الشؤم في المرأة والدابة والدار! (١)

فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده (ج ٦، ص ٢٤٦) بسنده عن قتادة عن أبي حسان الأعرج، أن رجلين دخلا على عائشة فقالا: إنَّ أبا هريرة يحدث أنَّ نبي الله كان يقول: «إنَّما الطيرة في المرأة والدابة والدار» قال: فطارت شقة منها في السماء، وشقة في الأرض، فقالت: والذي أنزل القرآن على أبي القاسم ما كان هكذا يقول، ولكن نبي الله كان يقول: «كان أهل الجاهلية يقولون الطيرة في المرأة والدار والدابة» ثم قرأت عائشة: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد: ٢٢).

٧. وروي كذلك عن عائشة أنها رَدَّت ما رواه أبو هريرة عن

رسول الله بشأن ولد الزنا وأنه هو شرُّ الثلاثة، أي: شرُّ من أبويه!! فقد أخرج الحاكم في مستدركه (كتاب الأحكام، ج ٤، ص ١٠٠) بسنده: حديثين عن أبي هريرة قال: «سئل النبي عن ولد الزنا؟ فقال: هو شرُّ الثلاثة!!».

١. هذا الحديث أخرجه الشيخان وأصحاب السنن عن عبد الله بن عمر، كما في صحيح البخاري: ٧٦، كتاب الطب، ٤٤، باب الفأل، الحديث رقم ٥٧٥٥ و ٥٤ باب لا عدوى، الحديث ٥٧٧٢، وصحيح مسلم، ٣٩، كتاب السلام، ٣٤، باب الطيرة والفأل، الحديث ١١٥-١١٦.

فخطأت عائشة روايته هذه، كما ذكر ذلك الزركشي في الإجابة^(١) (ص ١٠٨-١٠٩) وكما أخرجه الحاكم في مستدركه في الباب نفسه (ج ٤، ص ١٠٠) بسنده عنها قالت: قال رسول الله: «ليس على ولد الزنا من وزر أبويه شيء: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾». وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الحافظ الذهبي على ذلك في التلخيص، ذيل المستدرک.

وقد أخرج الحاكم في مستدركه بسند صحيح عن عروة بن الزبير عن (خالته) عائشة رواية أشمل في ذلك توضح منبع وهم أبي هريرة فقال:

[بلغ عائشة أن أبا هريرة يقول: إن رسول الله قال: لئن أمتع بسوط في سبيل الله أحب إلي من أن أعتق ولد الزنا، وأن رسول الله قال: ولد الزنا شر الثلاثة، وإن الميت يُعذَّب ببيكاء الحي.

فقالت عائشة: رحم الله أبا هريرة: أساء سمعاً، فأساء إصابة.

أما قوله: لئن أمتع بسوط في سبيل الله أحب إلي من أن أعتق ولد الزنا: إنها لما نزلت: ﴿فَلَا أَفْتَحُمُ الْعَقَبَةَ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ قيل: يا رسول الله: ما عندنا ما نعتق، إلا أن أحدنا له جارية سوداء تخدمه، وتسعى عليه، فلو أمرناهن فزنتين، فيجئن بالأولاد،

١. الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة: ص ١٠٨-١٠٩، عني بتحقيقه سعيد الأفغاني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥.

فأعتقناهن؟ فقال رسول الله: «لئن أُمِّتَ بسوط في سبيل الله أحب إلي من أن آمر بالزنا، ثم أعتق الولد».

وأما قوله: ولد الزنا شر الثلاثة، فلم يكن الحديث على هذا إنما كان رجل من المنافقين يؤدي رسول الله فقال: «مَن يعذرني من فلان؟» قيل: يا رسول الله: (إنَّه) مع ما به ولد زنا!، فقال: «هو شر الثلاثة!» (أي لأنه منافق، لا لأنه ولد زنا)، والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾^(١).

٨. وأنكر عليه ابن مسعود قوله: «من غسل ميتاً فليغتسل، ومن حمله فليتوضأ» وقال فيه قولاً شديداً، وقال: يا أيها الناس! لا تنجسوا من موتاكم.^(٢)

ولعل أوهام أبي هريرة الكثيرة هذه هي التي تفسر كلام الزبير بن العوام عن روايات أبي هريرة الذي رواه عنه ابن كثير في تاريخه: «البداية والنهاية» فقال: «وقال ابن خيثمة: حدثنا هارون بن معروف، ثنا محمد بن سلمة، ثنا محمد بن إسحاق عن عمر أو عثمان بن عروة عن أبيه - يعني عروة بن الزبير بن العوام - قال: قال لي أبي الزبير: ادني من هذا اليماني - يعني أبا هريرة - فإنه يكثر الحديث عن رسول الله، قال: فأدنيته منه، فجعل أبو هريرة يحدث، وجعل الزبير يقول: صدق، كذب،

١. مستدرک الحاكم: ٥/ ٢١٥، بسند صحيح، وأقره على تصحيحه الذهبي في التلخيص.

٢. كتاب جامع بيان العلم وفضله: للحافظ ابن عبد البر القرطبي: ٢/ ١٠٥، (بيروت: دار الفكر).

صدق، كذب. قال: قلت: يا أبي ما قولك: صدق، كذب؟ قال: يا بُنَيَّ أما أن يكون سمع هذه الأحاديث من رسول الله فلا أشك، ولكن منها ما يضعه على مواضعه، ومنها ما وضعه على غير مواضعه»^(١).

ويبدو أنَّ هذا هو ما كان عمر يخشاه عندما كان ينهى أبا هريرة عن الرواية عن رسول الله كما أخرج ذلك عنه أبو زرعة الدمشقي في «تاريخه» (١٤٧٥)، وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء، من طريق محمد بن زرعة الرعي، حدثنا مروان بن محمد، حدثنا سعيد بن عبد العزيز، عن إسماعيل بن عبيد الله، عن السائب بن يزيد، سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة: «لتترك الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس!»، وقال لكعب (أي كعب الأخبار): «لتترك الأحاديث، أو لألحقنك بأرض القردة!»^(٢).

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» بعد أن أورد هذا الخبر: «وهذا

١. البداية والنهاية: ٨/ ١١٢.

٢. قال الأستاذ شعيب الأرنؤوط في حاشية تعليقاته على «سير أعلام النبلاء» للذهبي (ج ٢، ص ٦٠١) بعد ذكره هذه الرواية: «وهذا إسناد صحيح، محمد بن زرعة قال أبو زرعة في تاريخه: ٢٨٦/ ١: ثقة حافظ من أصحاب الوليد بن مسلم مات سنة ست عشرة ومائتين، ومروان بن محمد هو الطاطري: ثقة كما في التقريب، وباقي السند من رجال الصحيح. وروى ذلك عن عمر الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمته لأبي هريرة (ج ٢، ص ٦٠١) وكذلك ابن كثير في «البداية والنهاية» (ج ٨، ص ١١٠) وفي طبعة أخرى (ج ٨، ص ١٠٦) وتصحّف في سنده إسماعيل بن عبيد الله إلى عبد الله، وهو في تاريخ دمشق لابن عساكر (١٩/ ١١٧/ ٢) (أفاده الأستاذ أرنؤوط).

محمول من عمر على أنه خشي من الأحاديث التي قد تضعها الناس على غير مواضعها، وأنهم يتكلمون على ما فيها من أحاديث الرخص، وأن الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع في أحاديثه بعض الغلط أو الخطأ، فيحملها الناس عنه، أو نحو ذلك.^(١)

ثم ذكر الذهبي [في سير أعلام النبلاء: ٢/ ٦٠١]: عن يحيى بن أيوب، عن ابن عجلان: أن أبا هريرة كان يقول: «إني لأحدث بأحاديث، لو تكلمت بها في زمن عمر لشجّ رأسي».^(٢)

قال العلامة محمد رشيد رضا معلقاً على ذلك: «أقول: فلو طال عمر عمر حتى مات أبو هريرة في عصره لما وصلت إلينا تلك الأحاديث الكثيرة عنه ومنها ٤٤٦ حديثاً في البخاري، ماعدا المكرر».^(٣)

وقال ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) راداً على طعن النظام المعترلي بأبي هريرة: «وأما طعنه على أبي هريرة بتكذيب عمر وعثمان وعلي وعائشة

١. البداية والنهاية: ٨/ ١١٠ (بيروت: دار الكتب العلمية).

٢. وأورده ابن كثير في «البداية والنهاية» عن ابن وهب عن يحيى بن أيوب، ورجاله ثقات، إلا أنه منقطع، لأن ابن عجلان لم يسمع من أبي هريرة، وفي المصنف لابن عبد الرزاق الصنعاني (٢٠٤٩٦): أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: قال أبو هريرة لما ولي عمر، قال: أقلوا الرواية عن رسول الله إلا فيما يعمل به، قال: ثم يقول أبو هريرة: «أفإن كنت محدثكم بهذه الأحاديث وعمر حي؟ أما والله إذا لألفيت المخفقة ستبائر ظهري!» [أفاده الأستاذ الأرنؤوط في تعليقه على سير الأعلام].

٣. مجلة المنار، الجزء ٩ من المجلد العاشر، مقالة: نهي الصحابة ورغبتهم عن الرواية، ص

له فإنَّ أبا هريرة صحب رسول الله نحواً من ثلاث سنين، وأكثر الرواية عنه، وعمر نحواً من خمسين سنة....

فلما أتى من الرواية عنه، ما لم يأت بمثله من صحبه من جلة أصحابه والسابقين الأولين إليه، اتهموه، وأنكروا عليه، وقالوا: كيف سمعت هذا وحدك؟ ومن سمعه معك؟ وكانت عائشة أيضاً أشدهم إنكاراً عليه لتطاول الأيام بها وبه. وكان عمر أيضاً شديداً على من أكثر الرواية... إلخ.^(١)

هذا، ومن الجدير بالذكر، أن نقدَ أبي هريرة على كثرة روايته أو تكذيبه في بعضها، لما يقع فيها من وهم منه أو نقل خاطئ، لم يقتصر على عُمر أو عائشة أو الزبير، بل كان عاماً بين عديد من الصحابة، كما يبدو من هذا الحديث التالي الذي أخرجه مسلم في صحيحه: قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب (واللفظ لأبي كريب) قال: حدثنا ابن إدريس عن الأعمش، عن أبي زرير. قال: خرج إلينا أبو هريرة ف ضرب يده على جبهته، فقال: ألا إنكم تحدثون أني أكذب على رسول الله لتهدوا وأضل؟! ألا وإني أشهد لسمعت رسول الله يقول: «إذا انقطع شسع نعل أحدكم، فلا يمشي في الأخرى حتى يصلحها»!!^(٢)

١. تأويل مختلف الحديث: لابن قتيبة الدينوري، ص ٤١، (ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية).

٢. صحيح مسلم: ٣٧، كتاب اللباس والزينة، ١٩، باب استحباب لبس النعل في اليمنى....، ح ٦٩.

ج. علماء الكوفة وتركهم بعض ما يروى عن أبي هريرة

ويبدو أنّ كلّ ما تقدم، كان سبباً في ترك طائفة من علماء الكوفة وعلى رأسهم الإمام «إبراهيم النخعي» شيخ الإمام أبي حنيفة لبعض أحاديث أبي هريرة وعدم أخذه بكلّ ما رواه أو ما رواه عنه. وإليك ما جاء في ذلك بأسانيد:

روى عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل قال: «حدثني أبي، قال: حدثنا أبو أسامة، عن الأعمش، قال: كان إبراهيم (أي النخعي) صديقاً في الحديث، أجيؤه بالحديث. قال: فكتب مما أخذته عن أبي صالح عن أبي هريرة، قال: كانوا يتركون أشياء من أحاديث أبي هريرة»^(١).

وقد رويت هذه الرواية عن النخعي بلفظ أشد، ذكره ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه على نهج البلاغة، نقلاً عن الشيخ أبي جعفر الإسكافي المعتزلي (٢٤٠هـ) قال: «وروى أبو أسامة عن الأعمش، قال: كان إبراهيم (أي النخعي) صحيح الحديث، فكتب إذا سمعت الحديث أتيته، فعرضته عليه، فأتيته يوماً بأحاديث من حديث أبي صالح عن أبي هريرة، فقال: دعني من أبي هريرة، إنهم كانوا يتركون كثيراً من

١. كتاب العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد، ص ١٤٠. وأبو أسامة هو حماد بن أسامة، ثقة جليل المكانة، من رجال الصحيحين. (أفاده عبد المنعم صالح العلي في كتابه: دفاع عن أبي هريرة: ص ٢٣٧).

حديثه^(١).

ونسب الفقيه الحنفي الكبير، شارح كتاب الشيباني، شمس الأئمة السرخسي (٤٩٠هـ) في كتابه المعروف بأصول السرخسي، بصراحة، للإمام النخعي إخباره عن سبقه أنهم: «كانوا يأخذون من حديث أبي هريرة، ويدعون»^(٢).

وجاء في كتاب «مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول» لأبي شامة المقدسي (٦٦٥هـ) قال: «وروى محمد بن الحسن (أي الشيباني تلميذ أبي حنيفة) عن أبي حنيفة أنه قال: «أقلد من كان من القضاة من الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، والعبادة الثلاثة، ولا أستجيز خلافهم برأيي إلا ثلاثة نفر». وفي رواية: «أقلد جميع الصحابة، ولا أستجيز خلافهم برأيي، إلا ثلاثة نفر: أنس بن مالك، وأبو هريرة، وسمرة بن جندب».

فقليل له في ذلك، فقال: «أما أنس، فاختلط في آخر عمره، وكان يفتي من عقله، وأنا لا أقلد عقله. وأما أبو هريرة، فكان يروي كل ما سمع، من غير أن يتأمل في المعنى، ومن غير أن يعرف «الناسخ

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ٣٦٠ (من الطبعة القديمة) أوج ٤/ ٦٧-٦٩، من

الطبعة التي حققها محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط ٢،

١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

٢. أصول السرخسي: ١/ ٣٤١.

والمنسوخ»^(١).

وقال ابن كثير في تاريخه: «البداية والنهاية»: «...وقال شريك عن مغيرة عن إبراهيم (النخعي)، قال: [كان أصحابنا يدعون من حديث أبي هريرة]. وروى الأعمش عن إبراهيم (النخعي) قال: [ما كانوا يأخذون بكلّ حديث أبي هريرة]. وقال الثوري: [عن منصور عن إبراهيم (النخعي) قال: «كانوا يرون في حديث أبي هريرة شيئاً، وما كانوا يأخذون بكلّ حديث أبي هريرة، إلّا ما كان من حديث صفة جنة أو نار، أو حديث على عمل صالح، أو نهي عن شرّ جاء القرآن به»].

وقد انتصر ابن عساكر لأبي هريرة وردّ هذا الذي قاله إبراهيم النخعي. وقد قال ما قاله إبراهيم (أي النخعي) طائفة من الكوفيين، والجمهور على خلافهم»^(٢).

د. ارتياب عدد من أعلام المعتزلة القدماء في أحاديث أبي هريرة وتكذيب كثير من رواياته

رغم أنّ ما نقلته كان كافياً لإثبات وجود الشبهة وضرورة التثبت في المرويات الغربية والإسرائيلية والمستنكرة والمخالفة لظاهر القرآن أو

١. مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأوّل، لأبي شامة المقدسي، تحت عنوان: [نصوص الإمام أبي حنيفة في اتباع السنة وتأسيس مذهبه] ص ٦٢-٦٣، (قدّم له، وخرّج أحاديثه، وعلق عليه: صلاح الدين مقبول أحمد، طبع الكويت، مكتبة الصحوة الإسلامية).

٢. البداية والنهاية لابن كثير: ٨/ ١١٣. (وفي الطبعة الأخرى، ج ٨/ ١٠٩).

للدلولات الأحاديث المشتهرة الأخرى (وبتعبير الحنفية: المخالفة للقياس) المسندة عن طريق أبي هريرة، ووجوب التوقف في نسبتها إلى رسول الله؛ إلا أن الصورة لا تكتمل إلا إذا ذكرنا أقوال العلماء والمجتهدين جميعهم من سلف الأمة وقرونها الأولى حول أبي هريرة وغرائب مروياته.

ولا شك أن المعتزلة يمثلون جزءاً لا يُجتزأ من سلف الأمة ومجتهديها الأعلام، ولا يمكن لمنصف أن ينكر فضلهم وعلمهم وجهادهم باللسان والقلم في الدفاع عن الإسلام في وجه خصومه ومهاجميه من الملاحدة وأهل الملل والأديان المخالفة، وهذا ما قرره لفيف من علماء الإسلام ومفكره في هذا القرن، ومنهم عدد من أعلام علماء الأزهر الشريف، أذكر على سبيل المثال لا الحصر فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى أبو النصر شيخ كليتي أصول الدين واللغة العربية بالأزهر الشريف سابقاً وعضو مجمع البحوث الإسلامية فيه في كتابه: «ما لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين».

وقد أحسن العلامة محمد رشيد رضا، قبل ذلك، الدفاع عنهم في مجلته المنار مبيناً أنهم من المجتهدين الماثين على اجتهادهم إما بأجر واحد إن أخطؤوا، أو بأجرين إن أصابوا، مثلهم مثل سائر المجتهدين من أمة محمد^(١)، كما بين أنه من الخطأ تصور أن مذهبه اندثر، فالزيدية

١. راجع دفاعه عنهم وإنصافه بحقهم في الجزء ١٢ من المجلد ١٦ من مجلته المنار:

والإباضية ثم الإمامية، الذين يشكلون مئات الملايين من المسلمين، هم في أغلب آرائهم الكلامية - خاصة في التوحيد والصفات والعدل الإلهي - مع المعتزلة.

كما أن لمنهج المعتزلة العقلاني عديداً من المؤيدين في أوساط أعلام أهل الفكر المعاصرين من أهل السنة في مصر و الأردن والشام وغيرها من بلاد الإسلام، استحسنوا في كتاباتهم آراء المعتزلة، وأبدوا إعجابهم بعقلانيتهم في التفكير، وصرحوا برجحان كثير من عقائدهم ومواقفهم، انكب بعضهم على تحقيق تراثهم ونشره: أذكر منهم، على سبيل المثال لا الحصر، بعض الأسماء اللامعة: فمنهم الأستاذ أحمد أمين، والأستاذ فؤاد السيد (رئيس قسم إرشاد وباحثي المخطوطات بدار الكتب المصرية) والدكتور عبد الكريم عثمان، والدكتور أحمد محمود صبحي (أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة الإسكندرية) والدكتور محمد عمارة، صاحب المؤلفات العديدة والذي كان عنوان رسالته للماجستير: «المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية....»^(١)

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾.

(الأعراف: ١٨٥)

١. نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث: لإسماعيل الكردي: ٢٤٣-٢٦٠، ولكلامه صلة فمن أراد فليرجع إليه.

مواجهة المستعمرين

لم يقتصر جهاد السيد ﷺ على الجانب العلمي والفكري فقط، بل ضمّ إليه نضاله ضد الاستعمار، وذلك عندما انسحبت قوات الخلافة العثمانية من البلاد العربية بعد الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٧م، وحلّت مكانها قوات الحلفاء وتقسّم العالم الإسلامي إلى دويلات صغيرة تقاسمها الحلفاء بينهم، وصارت بلاد الشام تحت الانتداب الفرنسي.

فعند ذلك أحسّ السيد شرف الدين ﷺ بأنّ الأخطار محدقة بالإسلام والمسلمين، فنهض بعزم صارم إلى محاربة الاستعمار ودعوة الجماهير (السنة منهم والشيعة) إلى طرد الحكام ورفض حكومة الانتداب فلاقى في هذا الطريق ما لا قىّ ممّا لا يمكن تبيينه في هذا المقال.

يقول المحقّق الخبير بحياة السيد (الشيخ مرتضى آل ياسين): إنّ خدماته العظيمة في العهد التركي، ثمّ في العهد الفرنسي، ثمّ في أيام

الاستقلال، كانت امتداداً لحركات التحرير، وارتقاء بها نحو كل ما يحقق العدل ويوطد الأمن، ... ولعلّ المحن التي كابدها هذا الإمام الجليل في سبيل إسعاد قومه، لم يكابد ناراها إلا أفذاذ من زعماء العرب وقادتهم، ممّن أبلوا بلاءه وعانوا عناءه.

وناهيك بما فاجأته به سلطة الاحتلال الفرنسي حين ضاقت به ذرعاً، إذ أوعزت إلى بعض جفاتها الغلاظ باغتياله. واقتحم ابن الحلاج عليه الدار في غرة، وهو بين أهله وعياله، دون أن يكون لديه أحد من أعوانه ورجاله، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد له غير ما أرادوا، فكفّ أيديهم عنه، ثم تراجعوا عنه صاغرين يتعشرون بأذيال الفشل والهوان، وما كاد يذيع نبأ هذه المباغثة الغادرة في عاملة، حتى خفت جماهيرهم إلى صور، ترحف إليها من كل صوب وحذب، لتأتمر مع سيدها فيما يجب اتخاذه من التدابير إزاء هذا الحادث، غير أنّ السيد صرفهم بعد أن شكرهم، وأجزل شكرهم، وارتأى لهم أن يمروا بالحادث كراما.

ثم تلا هذا الحادث أحداث وأحداث اتسع فيها الخرق، وانفجرت فيها شقّة الخلاف، حتى أدّت إلى تشريد السيد بأهله ومن إليه من زعماء عاملة إلى دمشق، وقد وصل إليها برغم الجيش الفرنسي الذي كان يرصد عليه الطريق، إذ كانت السلطة الغاشمة تتعقبه بقوة من قواتها المسلحة لتحول بينه وبين الوصول إلى دمشق، وحين يشتت من القبض عليه، عادت فسّطت النار على داره في (شحور)

فتركها هشيماً تذروه الرياح ، ثم احتلت داره الكبرى الواقعة في (صور) بعد أن أباحتها للأيدي الاثيمة ، تعيث بها سلباً ونهباً ، حتى لم تترك فيها غالباً ولا رخيصاً ، وكان أوجع ما في هذه النكبة تحريقهم مكتبة السيد بكل ما فيها من نفائس الكتب وعلاقاتها ، ومنها تسعة عشر مؤلفاً من مؤلفاته ، كانت لا تزال خطية إلى ذلك التاريخ .

في دمشق

وظل في دمشق تجيش نفسه بالعظائم ، وتحيط به المكرمات ، في أبهة من نفسه ، ومن جهاده ، ومن إيمانه ، وكان في دمشق يومئذ مداولات ملكية ، واجتماعات سياسية ، وحفلات وطنية ، تتبعها اتصالات بطبقات مختلفة من الحكومة والشعب ، كان السيد في جميعها زعيماً من زعماء الفكر ، وقائداً من قادة الرأي ، ومعقداً من معاهد الأمل في النجاح .

وله في هذه الميادين مواقف مذكورة ، وخطابات محفوظة ، سجلها له التاريخ بكثير من الفخر والإعجاب .

ولم يكن بد من اصطدام العرب بجيش الاحتلال ، فقد كانت الأسباب كلها مهيأة لهذا الاصطدام ؛ حتى إذا التقى الجمعان في «ميسلون» واشتبكا في حرب لم يطل أمدها ودارت الدائرة على العرب لأسباب نعرض عنها ، غادر السيد دمشق إلى فلسطين ومنها إلى مصر بنفر من أهله ، بعد أن وزع أسرته في فلسطين بين الشام ؛ وبين أنحاء

من جبل عامل، في مأساة تضيف أدلة إلى الأدلة على لؤم، فقد ظل ثقل من أهله الذين ذهبوا إلى «عاملة» يجوبون الفلوات والوديان في «عاملة» ليالي وأياماً لا يجدون بلغة من العيش يحشون بها معد صغارهم الفارغة على أنهم يبذلون من المال أضعاف القيمة، ويسطون أكفهم بسخاء نادر، وأخيراً لم يجدوا حلاً بغير توزيع قافلتهم في الأطراف المتباعدة، بين من بقي من أوليائهم وأصدقائهم على شيء من الوفاء أو الشجاعة.

في مصر

وحين وصل مصر احتفلت به، وعرفته بالرغم من تنكره وراء كوفية وعقال، في طراز من الهدام على نسق المألوف من الملابس الصحراوية اليوم؛ وكانت له مواقف في مصر وجهت إليه نظر الخاصة من شيوخ العلم، وأقطاب الأدب، ورجال السياسة، على نحو ما تقتضيه شخصيته الكريمة.

ولم يكن هذا أول عهده بمصر فقد عرفته مصر قبل ذلك بشمان سنين، حين زارها في أواخر سنة تسع وعشرين، ودخلت عليه فيها سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية، في رحلة علمية جمعت به أهل البحث، وجمعت به قادة الرأي من علماء مصر، وعقدت فيها بينه وبين شيخ الأزهر يومئذ - الشيخ سليم البشري - اجتماعات متوالية

تجاذبها فيها أطراف الحديث ، و تداولوا جوانب النظر في أمهات المسائل الكلامية والأصولية ، ثم كان من نتاج تلك الاجتماعات الكريمة هذه «المراجعات» التي نحن بصدددها .

في فلسطين

وحدثت ظروف دعتة إلى أن يكون قريباً من عاملة ، فغادر مصر في أواخر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية إلى قرية من فلسطين تسمى (علما) تقع على حدود جبل عامل ، وفي هذه القرية هوى إليه أهله وعشيرته ، ولحق به أولياؤه المشردون في هذا الجهاد الديني الوطني ، فكانوا حوله في القرى المجاورة . وكان في (علما) كما يكون في جبل عامل من غير فرق ، كآته غير مبعد عن داره وبلده ، يتوافد إليه الناس من قريب ومن بعيد ، ولا يكاد يخلو منزله من أفواج الناس ، فيهم الضيوف ، وفيهم طلاب الحاجات ، وفيهم رواد القضاء ، والفقه ، وفيهم من تستدعه الحياة السياسية أن يعرف ما عند السيد من وجه الرأي .

وانسلخت شهور في (علما) تصرفت فيها الأمور تصرفاً يرضي السيد بعض الرضا ، وأبيح للسيد أن يعود إلى عاملة بعد مفاوضات أدت إلى العفو عن المجاهدين عفواً عاماً ، وإلى وعد من السلطة بإنصاف جبل عامل ، وإنهاضه ، وإعطائه حقوقه كاملة .

العودة

وحيث اطمأنت نفسه بما وعدته به السلطة، عاد إلى جبل عامل، ولم تسمح نفسه بأن يعود والمجاهدون مبعدون، لذلك جعل بيروت طريق عودته - وطريقه بعيدة عنها - ليستنجز العفو العام عن المجاهدين، وكذلك كان، فإنه لم يخرج من بيروت حتى كان المجاهدون في حل من الرجوع إلى وطنهم وأهلهم.^(١)

١. . مقدمة كتاب «المرجعيات» بقلم آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين.

كلمات الأعظم في حق السيد

الحق أنّ شخصية شرف الدين ومكانته العلمية وشخصيته الجليلة ونضاله ضد المستعمرين والملحدين أظهر من أن تخفى على من له إلمام بتاريخ العلم والعلماء.

ونقتصر في المقام - إكمالاً للبحث - ببعض كلمات الثناء والتقدير التي ذكرها العلماء في حقّه.

هذا هو آية الله المحقق الخراساني (١٢٥٥-١٣٢٩ هـ) صاحب المدرسة الأصولية، المعروف بكثرة الإنتاج والتخريج، يعرف تلميذه الجليل شرف الدين في إجازة خاصّة له، بما يلي:

كلمة المحقق الخراساني في حقّه

«وإنّ سيادة السيد السند، والثقة الفقيه المجتهد المنزه من كلّ شين، سيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي - شد الله أركانه وأعطاه يوم

القيامة أمانه - مجتهد مطلق، وعدل موثق قد أصبح من أهل الذكر الذين ترجع إليهم العباد، وترقى من حضيض التقليد إلى أوج الاجتهاد، فخفقت ألوية النيابة عليه، وألقت بأزمتهما إليه، وحرم عليه التقليد، ووجب عليه العمل برأيه السديد، فليمثل المؤمنون أمره ونهيه، وليرجعوا إليه في أموالهم، ويفزعوا إليه في سائر أفعالهم، فإنه حجة عليهم، ماضية فيهم حكومته ونافذ قضاؤه، ويحرم الردّ عليه فإنّ الرادّ عليه رادّ على الله، وهو على حدّ الشرك بالله؛ والمأمول منه أن يسلك جادة الاحتياط فإتباعها سبيل النجاة، والله الموفق وهو حسبنا ونعم الوكيل».

كلمة الحجّة الطهراني

يقول الشيخ آقا بزرك الطهراني في ترجمته: لقد كان المترجم له مآثرة من مآثر الوقت، وآية كبرى ازدهر بها العصر الحاضر، وحسب هذا القرن مفخرة أن ينبغ فيه مثل هذا العبقرى الفذّ، وحسب «عاملة» أن تقل باحتها علماً خفاقاً للدين وسيفاً مشهوراً للهدى مثله من بقايا العرة الطاهرة ﷺ.

فلقد فاق أقرانه بشرة علمية طائلة، وقوة في العارضة، وفلج في الحجة، ورصانة في الأسلوب، وجودة في السرد، واهتداء إلى المغازي الشريفة والدقائق البعيدة المرمى، والغايات الكريمة، فماذا يقول الواصف فيه، أهو مجتهد فاضل، أم متكلم بارع، أم فيلسوف بحر محقق،

أم أصولي ضليع، أم مفسر كبير، أم محدث صدوق، أم مؤرخ ثبت، أم خطيب مصقع، أم باحث ناقد، أم أديب كبير؟ نعم هو كل ذلك أضف إليه: أنه ذلك المجاهد الدائب على المناضلة دون الدين والمكافح المتواصل دفاعه عن المذهب الحق، تشهد له بذلك كله المحابر والمزابر، والكتب والدفاتر، والخطب والمنابر، وأعماله الناجعة، ومحاضراته البديعة، وحججه الدامغ.^(١)

ولعل في هذه الكلمة من معاصره الخير بالرجال، الغنى والكفاية.

وقد ترجم في «موسوعة طبقات الفقهاء» ووصف فيها بالنحو التالي:

كان فقيهاً مجتهداً محدثاً خطيباً مفوهاً أديباً بارعاً من كبار الدعاة إلى الوفاق بين المسلمين.^(٢)

الإمام الخميني والسيد شرف الدين

قضى السيد الراحل حياته بجلالته وأعماله وعظيم مواقفه إلى أن لبى دعوة ربه عاشر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧ هـ فخره المسلمون زعيماً كبيراً من رجالات الأمة وبطلاً من أشهر أبطالها، وقد أحدثت

١. نقيب البشر: ٣/ ١٠٨٣.

١. موسوعة طبقات الفقهاء: ١٤/ ٣١٨.

وفاته، ثلثة في الدين، وأقيمت له الفواتح في مختلف البلاد، ومنها مجلس الفاتحة الذي أقامه السيد البروجردي في مسجد الحرم الشريف لكرامة أهل البيت عليه السلام في قم المقدسة، ولم يطلع السيد الإمام الخميني عليه السلام على إقامة الفاتحة ذلك اليوم، فجاء بنية إلقاء درسه اليومي في أحد المساجد المعروفة في قم (مسجد السلهاسي) والذي يلقي فيه دروسه يومياً، فأخبرناه بمجلس الفاتحة، فقال: نحن نجمع بين الحقيين: الدراسة والحضور في الفاتحة، فألقى شيئاً من محاضراته، ثم تحدث عن خدمات السيد شرف الدين، و مما ذكره: «أنه كان سيفاً مسلولاً على أعداء الله»، ثم توجه بعد ذلك هو وطلاب درسه إلى مجلس الفاتحة لأجل المشاركة فيه.

وعند وصولنا إلى المجلس نُبئنا أن الفاتحة كانت في وقتها الأخير، فلما ورد السيد الإمام المجلس والتلاميذ من ورائه فكأنه قد انعقد مجلس الفاتحة من جديد للسيد الراحل.

مؤلفاته وآثاره

امتازت مؤلفات السيد بالعمق والاستيعاب والمتانة والأدب الرفيع، نذكر منها ما هو الأهم:

١. شرح تبصرة المتعلمين في الفقه للعلامة الحلي في ثلاثة أجزاء.
٢. المسائل الفقهية.
٣. تحفة الأصحاب في طهارة أهل الكتاب.
٤. رسالة في منجزات المريض.
٥. رسالة في المواريث.
٦. تعليقة على مبحث الاستصحاب من فرائد الأصول للشيخ الأنصاري.
٧. المراجعات.
٨. تعليقة على صحيح البخاري في مجلد واحد.
٩. تعليقة على صحيح مسلم في مجلد واحد.

١٠. أبو هريرة.
 ١١. النص والاجتهاد.
 ١٢. الفصول المهمة في تأليف الأمة.
 ١٣. المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، في أربعة أجزاء.
 ١٤. رسالة حول الرؤية.
 ١٥. رسالة فلسفة الميثاق والولاية.
 ١٦. رسالة الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء.
 ١٧. بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين.
 ١٨. أجوبة مسائل موسى جار الله.
 ١٩. تحفة المحدثين في من أخرج عنه السنة من المضعفين.
 ٢٠. سبيل المؤمنين في الإمامة في ثلاث مجلدات.
- ومن رغب الاطلاع على كافة مؤلفاته فليرجع إلى كتاب «نقباء البشر» ج ٣، ص ١٠٨٦-١٠٨٧.

السيد البروجردى وكتاب المراجعات

صدر كتاب المراجعات إلى الأسواق عام ١٣٥٥ هـ ثم تلت الطبعة الأولى طبعات أخرى بعد مضي عقد من السنين، ولم يكن السيد البروجردى مطلعاً عليه، وقد قدّم الكتاب إليه أحد أساتذة الحوزة العلمية وهو آية الله السلطاني رحمته، فأخذه السيد بإجلال وإكبار، فلمّا جلس لمطالعة ليلاً أسرته جاذبيته وأخذت بمجامع قلبه، فاستغرق في

مطالعه إلى أن بلغ الصفحة الأخيرة من الكتاب وقد مضى هزيعاً من الليل.

ولما التقى صبيحة تلك الليلة بالسيد السلطاني أعرب له عن إعجابه بالكتاب، وتقريره الهادئ وفي الوقت نفسه الصارم والقاطع لحجة المناظر.

ثم إن السيد السلطاني أخبر السيد البروجدي أن للسيد شرف الدين كتاباً آخر وهو كتاب «النص والاجتهاد»، أثبت فيه أن المسلمين الأول خصوصاً المتمين منهم لمدرسة الخلفاء كانوا يقدمون المصالح على النصوص، وإن السيد ﷺ قد استقصى موارد هذا النوع من الاجتهاد بمعنى العمل بالسلائق في مقابل الكتاب والسنة، فسعد السيد البروجدي بهذا الكتاب وتحمل نفقة طبعه وصدر إلى الأسواق مرات عديدة.

نماذج من رشحات قلمه الفياض

إنَّ للإمام شرف الدين وراء ما أَلَفَ وصنَّفَ في موضوعات مختلفة، رسائل إخوانية إلى أعلام عصره وفطاحل زمانه، لو جمعت في مكان واحد لشكَّلت كتاباً مفرداً.

ونحن نعرض في هذا الفصل نماذج من رشحات قلمه الفياض التي تعلقوها بلاغة علوية، وكلمات عذبة وجميلة موجزة تحتوي أرقى المعاني، كما أنَّ مكاتباته مع علماء مختلف البلدان تعرب عن أنَّه كان قطباً تدور عليه رحى الفضل والأدب، وأنَّه كان مفزَعاً لحل المشاكل العلمية، غير أنَّ المجال لا يتسع لعرض جميع هذه الرسائل، لذا تقتصر على رسائل ثلاث:

الأولى: رسالته التأبينية إلى آية الله صدر الدين الصدر المقيم بمدينة قم.

الثانية: رسالته إلى الخطيب المصقع الحاج عباس قلي الواعظ

الچرندابى التبريزى حول نشر كتاب «أوائل المقالات» ، و«تصحیح الاعتقاد» للشيخ المفيد.

الثالثة: تقریظه لكتاب «الغدير» للعلامة الأميني.

وهذه الرسائل تعرب عن أدبه الجمّ وقدرته الفائقة على صبّ المعاني والأفكار في قوالب رصينة. وإليك نصوص تلك الرسائل:

١

أ. رسالته التابينية إلى آية الله السيد صدر الدين الصدر في وفاة أحد أقربائه:

بسم الله تعالى

سندي وكهلي والبقية من أهلي، لك البقاء وبك العزاء، وأنت
الأسوة وبك القدوة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ألا أيها الموت الذي ليس تاركي

أرحمني فقد أفنيت كل خليل

أراك بصيراً بالذين أحبهم

كأنك تنحون نحوهم بدليل

لا غرو أن سئمت الحياة الدنيا، وعزفت نفسي عنها، فإن فقدان

الأحبة، وتكylan الأعزة، يوجب ذلك بحكم الفطرة والجبلة، وما علي من

معزة إذا ما مللت عمري، وسئمت حياتي، وتفطرت حرقاً، وتفجرت

علقاً، فمن لي بالجلد، وأين لا أين يوجد، وأحبابي سَفَر، وأتراي ظعن،

والدار قفر، والجناب صفر.

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا

أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فأه وأواه على إخواني مصاييح دجى العالم، ومقاييس هدى بني

آدم، أعلام الدّين من آل الصّدر وياسين.
 سبقوا هواي وأعنفوا لهواهم فتخّروا ولكلّ جنب مصرع
 فللعين القذّي، وللحلق بعدهم الشجّي، واللّيل مسهد، والحزن
 سرمد، أو يختار الله لي دارهم التي ظعنوا إليها.
 أيحيب مني القلب داعي سلوة
 وهو الأصمّ الوقر عن نغماتها
 أيقاد سلس القود نحو نديها
 فبعوج شامسه على أبيانها
 هيهات يقعده السلو وغدوة
 عنه الأحبة هجهجت جسراتها
 هيهات هيهات، وقد أومض برق العراق، بصاعقة اقشعرت لهوها
 الآفاق، فاضطربت الحواس، وانخلعت بها قلوب الناس فإنّا لله وإنّا
 إليه راجعون.
 قضى إمام الأئمة، ومفرعها في كلّ ملمة، وطريقها الفاصل، بين
 الحقّ والباطل، قضى والله فصل خطابها، ومفصل صوابها، قضى
 شخص العلم والعمل، ومناط الرجاء والأمل.
 مصاب عظيم هو له بلغ السّما
 وخطب جسيم صير الدّهر في عمى
 اندك الطود الذي يمسك الله به الأرض أن تميد، وبه يُغيث
 الناس فيمطرهم رحمةً وفضلاً، فإذا صبري قتيلاً، وأمري عويل، وحياتي

شقاء، وكلّ ما حولي ثكل وبكاء.

ويا لهف أرضي وسائي على بقية سلفنا الهاشمي، وتليّة شرفنا الفاطمي المقدّاة، تأخذها القارعة تلو القارعة وقد بلغت من الكبر عتيا، رحماك اللّهم ربّنا وحنانك في أمّتك هذه الضعيفة وابنة عبدك وأنت أعلم بها وأرحم ولك عليها سوابق النعم، أشبّلتها الضراغم لتكون بينهم أعزّ من جهة الأسد، اللّهم فافرغ عليها من الصبر ما تستوجب به أعظم الأجر، وأورف عليها من ظلال علميها ما تتقلب فيه على مهاد الدّعة، وتستظل فيه تحت سماء العز على ما لها من الباقيات الصالحات فإنّها خير عندك ثواباً وخير أملاً.

أمتع ربّنا عبادك بآيتك فيهم وحجتك عليهم «صدر الدين» و إمام المسلمين، واجعله ثمال الباقيين كما جعلته مثال الماضيين، إنك ذو الفضل العظيم والمنّ الجسيم وأنت أرحم الراحمين.

صور - ١٥ شعبان المعظم سنة ١٣٧٠

عبد الحسين شرف الدين الموسوي

وفي هامش الرسالة:

إلى الآن لم تصل هديتكم المشكورة - كتاب المهدي عجل الله فرجه - ومتى وصلت سنأثر بها جماعة (حول حلب) قد استبصروا ولاية وبراءة فهم بهذه الهدية أولى.

أمّا «بغية الراغبين» فربما نطبعها في إيران حين التشرف بزيارة المشهد المقدس وبخدمتكم، ولعلّ ذلك يكون قريباً إن شاء الله تعالى.

٢

رسالته إلى الشيخ الواعظ الجرندي

حول نشر كتاب أوائل المقالات للشيخ المفيد^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخي في الله عز وجل الحاج الشيخ عباس قلي الواعظ الجرندي
شكر الله سعيك الدائب في نصر الحق، وعزمك المرفف في
نشره، وسلام عليك فاضلاً باسلاً مناضلاً عن الحقيقة، جاداً فيما
يوجب السعادة، مجتهداً في الوعظ نصحاً وإرشاداً وإفادة ورحمة الله
وبركاته.

فزنا اليوم بكتابك المستطاب مؤرخاً ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٦٤
وقبله بأسبوع كانت لنا الحظوة بالهدية السنية - أوائل المقالات في
المذاهب والمختارات، و تصحيح الاعتقاد - لمؤلفهما إمام الأمة
وممثل أهل العصمة شيخنا ومولانا أبي عبد الله محمد بن محمد بن

١. أوائل المقالات؛ الطبعة الثانية، مكتبة حقيفة في تبريز.

النعمان الحارثي المعروف بالشيخ المفيد أعلى الله مقامه، ولعمري إنك اجملت الصنع إذ بعثت هذين المصحفين من مرقدتهما المجهول فأوليت الأمة بذلك علماً جماً، وازدعت في الدنيا الإسلامية خيراً كثيراً وحولتها نعمة عظيمة.

تصفحت «أوائل المقالات» أنعم فيها النظر سبراً لغورها، وقلبتها ظهراً لبطن عجباً لعودها، فإذا هي فرقان محكم الوضع، غزير المادة، معتدل الأساليب، متناسق التبويب، جزيل المباحث، جليل العوائد، داني القطوف، عذب المورد، ناصع البيان، تدرك مقاصده على غير مؤنة ولا إرهاق خاطر، تؤيده الحجج الملمزة والبيّنات المسلمة، وقد طوى على نحو تسعين مقالة هي موضوع البحث ومحل النزاع بين الشيعة الإمامية وغيرهم من سائر الفرق المسلمة، ظهر فيها مقطع الحق، وبان بها مشعب السداد، وقد استظهر مؤلفها - شيخ الأمة ومفيدها - على خصومه فيها بحكم العقل والنقل، فإذا مقالاته مفصل الصواب وفصل الخطاب، وإذا هي الحد الفاصل بين الحقّ والباطل، وإذا خصمه فيها صاغر قميء قد خصم فخطم والحمد لله رب العالمين.

ثم استقرأت «تصحيح الاعتقاد أو شرح عقائد الصدوق» فإذا هو كسابقه لا شبهة فيه لمعتدل، ولا مطعن به لمنصف، ولا سبيل عليه لفاضل فاضل، يستسلم للبيّنات والدلائل من مؤالف أو مخالف، ولا غرو فيما يخرج قلم شيخنا المفيد أن يكون الغاية ليس وراؤها مذهب

لطالب ولا مراغ لمستفيد، فقد كان أعلى الله مقامه أقضى قضاة محاكم المعقول والمنقول، وأمضى فياصل الحق من أولياء آل الرسول، ولو وجبت العصمة لغير الأنبياء وأوصيائهم لكان أول من وجبت له بعدهم عليهم السلام، فكتبه كلُّها هدى ونور وشفاء لما في الصدور، ونحن نشكر لك نشر الرسالتين، ونقدر اتحافك إيانا بهما، ونكبر جزيل فوائدك، ولا ننسى جميل عوائدك، وفقك الله لتأييد الحق ونصره وسهل لك أسباب إذاعته ونشره.

صور - لبنان

في ٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٤

عبد الحسين شرف الدين الموسوي

٣

تقريظه لموسوعة الغدير^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حجة الإسلام العلامة الثبت المجاهد (الأميني) أعزّه الله وأعزّه به
 تحية طيبة وسلاماً كريماً.
 أشعر أنّ لك عليّ واجباً يتجاوز حدود القول في تقريظ (الغدير)
 موسوعتك النادرة، والثناء عليها بوصفها مجهوداً ثقافياً منقطع النظير.
 فالقول في هذا ونحوه أدنى ما يُستقبل به جهادك، وأقلّ ما يوزن به
 تتبّعك واستيعابك، أمّا الذي يعطيك كفاء حقّك في هذه الموسوعة
 الفاضلة فتقديرٌ يبلغ الأمانة أنّك من أبطالها الأقلين، ويدعوها من أجل
 هذا إلى شدّ أزرّك وإرهاقك في سبيلك النير الخير هذا، إنصافاً للقيم
 التي توشك أن تضع فتضيع؛ ومتى ضاعت وأضاعفت فقد خسرت
 الحياة «مثلها الأعلى» وعادت بعده تافهة، لأنّها تخلو آنذاك من حقّ وخير

١. نشر هذا التقريظ في مقدّمة الطبعة الثالثة (الموسوعة الغدير) المطبوعة في دار الكتاب
 العربي، بيروت، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

وجمال، أي تخلو مما يجبب الحياة ويرفعها، ويدل على أقدارها.

موسوعتك (الغدير) في ميزان النقد وحكم الأدب عملٌ ضخْمٌ دون ريب، فهي موسوعةٌ لو اصطلح على إبداعها عدّة من العلماء وتوافروا على إتقانها بمثل هذه الإجادة لكان عملهم مجتمعين فيها كبيراً حقاً.

ولكنّي ما سقت كلمتي لأقول هذا، وإنّما سقتها لأشير إلى هذه الناحية الخطيرة من حياتنا المفكّكة داعياً إلى التشدّد، والالتفات حول الحفنة الباقية من رجال الفكر الإسلاميّ ممن يجيلون أقلامهم في علومنا وآثارنا بفقه وحبّ.

فليس شيء عندي أخطر على هذا الفكر الولود من التفرّق عن رجاله، لأنّ التفرّق عنهم نذير بعقم نتاجه، وقطع حلقاته، فالتفرّق عنهم بمعناه تفريق للحواضر والبواعث التي تتّصل بها حياة الحقّ في طبائع الأشياء وظواهر السنن.

وليس أفجع لحضارة الشرق بل لحضارة الإنسان من عقم هذا النتاج وقطع هذه الحلقات.

فإذا دعونا إلى مؤازرتك والوقوف إلى جانبك في شقّ الطريق بين يدي (غديرك) فإنّنا ندعوا في واقع الأمر إلى خدمة فكرة كلّية ترتفع بها شخصيّة الأُمّة كاملة، آمليْن أن يرى المفكّرون بك مثلاً يشجعهم بحياة الأُمّة حولك، وحسن تقديرها لك، أن يخدموا الحقّ الذي خدمته لوجه

الحق خالص النية.

أقف هنا لأقول: إنَّ قَمَّةَ (الهرم) في عملك الجاهد القيِّم إنها هي حبُّك له حبًّا يدفعك فيه إلى الأمام في زحمة من العوائق والمَشَبَّطات، وهي خصلةٌ في هذا العمل الكبير تُعيد إلى الذهن دأب أبطالنا من خدام أهل البيت وناشري علومهم وآثارهم، ذلك الدأب الذي أمتع الحياة بأفضل مبادئ الإنسانية من معارفهم النيرة.

أما الجوانب الفنية فقد نسجتها نسج صنّاع، وهيأت لقلمك القويّ فيها عناصر التجويد والإبداع في مادّة الكتاب وصورته، وفي أدواتها المتوفرة على سعة باع، وكثرة اطلاع، وسلامة ذوق، وقوة محاكمة، أمامك، حفظك الله وأعانك.

١٤ ذو الحجة ١٣٦٨

عبد الحسين شرف الدين الموسوي

السيد شرف الدين والتقريب بين المسلمين

إنَّ التقريب بين المسلمين من الآمال التي يطمح إليها كلُّ مسلم مخلص عارف بالقضايا الراهنة، ومما يحز بالنفس أن نرى أبناء أُمَّة واحدة تجمعها روابط كثيرة، متشّتين مختلفين لا يتعاونون تعاون الإخوة، وقد خاطبهم الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(١)، وجعلهم الكتاب إخوة متعاطفين وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٢)، ومع ذلك نرى التشتت والتمزق متفشّين فيهم.

ولدرء هذا الخطر قام في أواسط القرن الرابع عشر جماعة - إحساساً منهم بخطورة الموقف - بتأسيس دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة، وعلى رأسهم الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر من أهل السنة والسيد شرف الدين من الشيعة.

١. الأنبياء: ٩٢.

٢. الحجرات: ١٠.

وقد نشرنا مقالات حول التقريب وتبيين المشتركات، وأن المسائل الخلافية لا تضر بوحدة الكلمة وتوحيد الأمة.

وهذا ما يظهر من مقالاته المنتشرة في مجلة رسالة الإسلام.

ومع ذلك كله ليس التقريب عنده بمعنى تذويب السنّة في الشيعة أو بالعكس، فإنّ التقريب شيء والتذويب شيء آخر، فالسيد من دعاة التقريب لا من دعاة التذويب، فإنّ الثاني أمر مستحيل في الظروف الحاضرة والأوّل أمر ممكن.

ولذا نراه - مع أنّه يكتب مقالات في التقريب وألف كتاب: «الفصول المهمة في تأليف الأمة» الذي طبع في صيدا عام ١٣٣٠هـ - يرد على موسى جار الله الذي افترى على الشيعة برسالة خاصّة أسماها: «أجوبة مسائل موسى جار الله» التي طبعت في صيدا عام ١٣٥٥هـ، كما أنّه ألف رسالة باسم: «رسالة إلى المجمع العلمي العربي بدمشق» والتي طبعت في صيدا سنة ١٣٧٠هـ وقد ردّ بها على الأستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع عندما تعرض لآل البيت (عليهم السلام) في مقال نشره في مجلة المجمع.

هذا بعض ما تيسّر لنا كتابته تقدّياً للمؤتمر الذي أقيم إجلالاً له في اليومين الثالث والرابع من صفر المظفر عام ١٤٢٦هـ في قم المشرفة في قاعة مدرسة الإمام الخميني (رحمته الله).

ونحن نعتز بتقصيرنا أو قصورنا عن بيان ما للسيد الراحل من فضائل ومناقب وخدمات وبطولات.

فسلام الله عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً.

جعفر السبحاني

قم المشرفة

صفر المظفر ١٤٢٦هـ

فهرس المحتويات

- مقدمة.....٧
- تمهيد: الإمام شرف الدين باحثاً ومجاهداً وداعية للإصلاح والوفاق.....٩

١

خصائصه ومنجزاته

١. كان رجلاً عالمياً.....١٤
٢. الاهتمام بتوعية الشيعة.....١٥
٣. فتح باب الحوار بين الطائفتين.....١٧
٤. اهتمامه بالفقه الأكبر.....٢٠
٥. تبين المسائل الخلافية.....٢١
٦. تأسيس منهج لتمييز الصحيح من الأحاديث.....٢٤

٢

رسائل بين عبد المتعال الصعيدي وشرف الدين

- نقد كتاب «أبو هريرة».....٢٩

- رد السيد شرف الدين على نقد الصعيدي حول كتاب «أبو
 هريرة» ٣٢
 حول «أبي هريرة» للصعيدي ٣٤
 أبو هريرة والصعيدي للسيد شرف الدين ٣٦
 كلمة أخيرة في أبي هريرة للصعيدي ٣٩
 دفاع عن الحق والحقيقة ٤٢
 التحدث بنصف ما حفظه ٤٦
 التدليس في الحديث ٤٦
 وشهد شاهد من أهلها ٥٠
 أبو هريرة وروايته عن كعب الأخبار وتدليسه عنه ٥١
 مآخذ عدد من الصحابة على كثرة رواية أبي هريرة ٥٦
 علماء الكوفة وتركهم بعض ما يروى عن أبي هريرة ٦٥
 ارتياب عدد من أعلام المعتزلة القدماء في أحاديث أبي
 هريرة ٦٧

٣

مواجهة المستعمرين

- في دمشق ٧٢
 في مصر ٧٣
 في فلسطين ٧٤

العودة..... ٧٥

٤

كلمات الأعظم في حق السيد

كلمة المحقق الخراساني في حقّه..... ٧٦

كلمة الحجة الطهراني..... ٧٧

الإمام الخميني والسيد شرف الدين..... ٧٨

٥

مؤلفاته وآثاره

السيد البروجردي وكتاب المراجعات..... ٨١

٦

نماذج من رشحات قلمه الفياض

رسالته التأينية إلى آية الله السيد صدر الدين الصدر في وفاة أحد

أقربائه..... ٨٥

رسالته إلى الشيخ الواعظ الجرندي حول نشر كتاب «أوائل

المقالات» للشيخ المفيد..... ٨٨

تقريضه لموسوعة «الغدير»..... ٩١

٧

السيد شرف الدين والتقريب بين المسلمين

هو من دعاة التقريب، لا من دعاة التذويب ٩٤

فهرس المحتويات ٩٧